٢١٠

HARLEQUIN®

روايات احلام

بين حب وكبرياء

جيسيكا ستيل

www.elromancia.com
مرمورية

بين حب وكبرياء

دائماً يخلق فينا السفر إلى بلاد غريبة حالة ترقب.. ننتظر أن يفتح لنا المجهول أبوابه ، ونأمل بلقاء شعاع هائم يتسلل إلى داخلنا فيضيء رتابة عالمنا...

لكن هذا الغريب الذي التقته بيليس في بلاد البيرو أدانها منذ النظرة الأولى، وأوضح رأيه بها بدون رحمة...

- من الأفضل لك إن تمتنعي عن إغواء كل رجل تلتقينه، خلال إقامتك في بلادي...

لماذا إذن عين نفسه وصياً عليها وفرض عليها أن تصبح " ضيفته" في قصره بالقوة؟ إكراماً لصهرها؟ لحمايتها من نفسها ؟ أم أن هناك مفاجأة مذهلة تنتظرها؟

www.riwaya.ahlamontada.com

١ ـ عينان كالثلج

كانت بليس غير مصدقة أنها هنا، في البيرو! لقد وصلت أمس إلى العاصمة ليما شديدة الحماسة كما كانت منذ البداية. استحمت واستعدت لتناول العشاء في فندقها، وأفكارها مركزة على زيارتها للبيرو، والفضل يعود لشقيقتها وصهرها.

وخزة ضمير شاردة أصابتها وهي تفكر بأن عليها الاتصال هاتفياً بشقيقتها ايريث، لتقول إنها وصلت إلى ليما. ثم أدارت ظهرها للفكرة.. فشقيقتها متزوجة منذ شهرين ونصف، وفي نظرها لا زالت في شهر العسل. في الواقع، كانت ايريث وزوجها قد خططا لرحلة بحرية لمدة ثلاثة أشهر، في أحد اليخوت التي صممها وبناها زوجها «دوم». لم تندهش بليس وقد سمعت إيريث تتحدث عن بلدة زوجها «جاهارا» التي يرغبان الذهاب إليها. فجاهارا، حيث مزرعة دوم، تجذبها وهي السبب لقطع رحلتهما، وقرارهما بمتابعة شهر العسل في المكان الذي يحبانه معاً.

غرقت عينا بليس بالحلم بينما أفكارها عادت إلى أربعة أشهر مضت، حيث كانت في المنزل مع أبيها وزوجته، تستعيد عافيتها من التهاب رئوي سيء جداً.. وذهبت إيريث إلى البيرو لتعرف المزيد عما يحدث مع «أودرا» أختهما غير الشقيقة.. كانت الرحلة إلى البيرو ضرورية جداً حين لم تتلقّ زوجة أبيها سوى رسالة أقلقتها جداً، تتناول إقامة ابنتها أودرا هناك منذ ستة أشهر.

كانت بليس متعطشة للذهاب إلى هناك، وهي التي لها أكثر من اهتمام بعلم الآثار القديمة.. لكنها لم تكن قد شفيت بعد من مرضها المتعب حين اتخذت العائلة قراراً بذهاب أحد أفرادها وراء أودرا.

كانت ايريث قد قالت لها بلطف:

ـ لستِ بحالةٍ تسمح لكِ بالذهاب حبي...

بالرغم من حالتها، تملكتها فكرة أن تتمكن من السير على الطرق التي سار عليها شعب الأنكا القديم. وحاولت الاحتجاج:

ـ لكن.. ايريث..

برقت عيناها الخضراوان بالرجاء. وكان لأيريث العينان الخضراوان ذاتهما، كذلك الشعر الأحمر البني، وتتشاركان ذات لون البشرة الشاحب المذهل الجمال.. وكانت لهجة ايريث دافئة بالحب وهي تقول لبليس آسفة:

ـ دون لكن حبي.. لن يهدأ لنا بال لو ذهبت.

هكذا تم الاتفاق على أن تذهب ايريث إلى البيرو. واكتشفت بليس أن هذا كان أفضل لها، فقد حدث لها نكسة خلال تماثلها للشفاء، وعادت لملازمة الفراش.

كانت قد ادعت أنها تشعر أفضل حالاً حين تلقت العائلة بعد أيام برقية من ايريث تقول إن «أودرا» على ما يرام. بعد ذلك بوقت قصير، وقد عادت بليس مرة أخرى إلى طريق الشفاء، تلقوا أكثر من مخابرة هاتفية مثيرة من ايريث.. تنبئهم بعودة اودرا إلى الوطن، ثم عودتها هي في اليوم التالي، وأنها ستأتي معها برجل مميز جداً!

وتحولت الإثارة إلى ابتهاج، حين وصلت ايريث، في أعقاب أودرا، مع رجل بيروني وسيم وقعت في حبه، دومينغو دوزار موزا.. وقد بدا واضحاً منذ البداية أن ايريث ودوم مغرمان. لم تحتج بليس إلى من يقول لها إنه لولا زوجة أبيهما، التي يحبانها كثيراً، لدعت ايريث ودوم الجميع

إلى البيرو، ولتزوجا دون أي تأخير، في بلاد دوم.

لكن بسبب عدم قدرة زوجة أبيهما على السفر، ومع نفاد صبر دوم، جرت مراسم الزواج بعد ثلاثة أسابيع في كنيسة القرية الصغيرة في «آش بارتون».

قالت ايريث وهي تعانق أختها قبل سفرها:

ـ تعالي لزيارتنا في «جاهارا».

وردت بليس بإثارة:

ـ حاولي منعي!

لكنها لم تكن تعتقد أن هذا سيحدث قريباً.

صحيح أنها لم تذهب بعد إلى جاهارا.. وخرجت بليس من تذكرها، لتدرك أنها أنهت حمامها وارتدت ثيابها الداخلية وبذلة ببنطلون خضراء حريرية، دون أن تعي.

قوست ابتسامة فمها الجميل وهي تعود إلى التفكير، كيف أنها منذ أسبوعين، وفي عيد ميلادها الثاني والعشرين، تلقت هدية هي بطاقة سفر بالطائرة مفتوحة إلى «كوزكو» عبر «ليما».. وكوزكو هي أقرب مطار إلى «جاهارا». يقول الزوجان لها في رسالة مرفقة، إنهما وبسبب مرضها، وضعا في الرسالة ما يكفي من مال للاستراحة ليلةً في فندقٍ في ليما، قبل متابعة رحلتها. وذكرا اسم الفندق، وعرفت بليس أنه لا بد أن يكون فندقاً ضخماً، لتصرف كل هذا المال لإقامة ليلة واحدة.

مع وجود التذكرة دون تاريخ، كان لها الحرية في استخدامها متى تشاء.. لكن، مجرد إرسالهما للتذكرة يعني أنهما لا يمانعان وصولها في أي وقت. وتذكرت بليس أنها لن تمانع في أن تكون في مكان آخر غير «آش بارتون» في ذلك الوقت.

واعترفت أن لها حظ الشيطانِ ذاتِهِ مؤخراً. فهي بالكاد عادت إلى عملها في المكتبة حتى التقطت رشحاً صيفياً، وبالرغم من احتجاجات

أبيها وزوجته، ذهبت إلى العمل.. لكن ليس إلى وقت طويل.. فقد كانت تشعر بالسوء، وعلى وشك أن تنهار، ولو لم تكن تدرك ذلك، حين لاحظ رب عملها فجأة، أنها تكاد تقع أرضاً.

اقترح أن يوصلها إلى المنزل.. قال وهو يساعدها على الخروج من السيارة:

ـ هذه المرة لا تعودي إلى العمل إلى أن تُشْفَيْ تماماً.

كانت تحقق تقدماً جيداً في الشفاء صبيحة عيد ميلادها.. وبشيء من التردد، سمحت لنيد جونز، أن يأخذها بنزهة في السيارة، وكان ترددها ينبع من واقع أنها تعتبر نيد مجرد صديق، لا حبيب، فقد بدأ يُظهر دلائل «الحماس» نحوها.

وصلت الأمور إلى ذروتها تلك الليلة حين أعادها إلى المنزل وحاول تقبيلها.. فصاحت:

ـ لأجل السماء نيد!

ولم تشعر بأي شيء نحوه غير التوتر، وشكرته بأدب من أجل النزهة، ودخلت إلى المنزل.

تلك الليلة، كانت قلقة لا تستطيع النوم، وأدركت أنها لن تمانع أبداً في الابتعاد لفترة ما. فقد اعتاد نيد على زيارتها دون دعوة، والآن أدركت أنها لا تريد أن تجرحه.. فقد كان صديقاً طيباً خلال مرضها، لذا بدا لها من غير الإنصاف، أن تقول له فجأة، وقد أصبحت أفضل حالاً، إنها لا تريد رؤيته بعد الآن.

وقررت: أجل.. لن تمانع أبداً في بُعْدها عن القرية في تلك اللحظات.. وبدأت الإثارة تستولي عليها وهي تفكر بهدية ميلادها التي تلقتها من ايريث ودوم. وفجأة، عرفت أن قرار الذهاب إلى البيرو قد تم بعد أن أمضت بضع دقائق تفكر به.

من الطبيعي، وهي تعتقد أن أختها وصهرها لا زالا في شهر العسل،

ألاّ تنوي التطفل عليهما، فسوف تزورهما في وقت ما، فعدم زيارتهما وهي في بلادهما سيكون أمراً صعباً.. إضافة إلى أنها اشتاقت إلى ايريث وتريد أن تراها.. لكن ليس بهذه السرعة..

أمضت بليس ما تبقى من تلك الليلة متيقظة تفكر بالمسألة.. أولاً، هناك وظيفتها.. ومع إصرار الدكتور لاوتون على عدم عودتها بسرعة إلى عملها، كانت لا تزال في إجازة مرضية. وفي ظنها أنه لا بد قريباً، سوف يعتقد أنها أصبحت في حالة ملائمة مما يعني عودتها إلى عملها.. وبما أن رب عملها يصر على ألاّ يرى وجهها في المكتبة إلى أن تكون قد تعافت تماماً، فهل سيعتقد أنها وقحة لو طلبت فرصتها السنوية وسافرت إلى البيرو لتغيب ثلاثة أسابيع؟ ولمعرفتها بالسيد بارنهام كانت واثقة أنه سيتمنى لها كل خير.

فيما بعد فكرت بليس بالمال لمغامرتها، فنادق وما شابه. لكنها لم ترَ أي مشكلة هنا.. فوالدها وجين زوجته، أعطياها هدية عيد ميلادها، شيكاً بمبلغ ضخم. وبما أنها كانت تتقلب بين المرض والصحة في الأشهر الاربعة الماضية، لم تصرف شيئاً من مرتبها.. ثم لديها مدخراتها.. وتذكرت أنها ووالدها وجين، قد جمعوا كل مدّخراتهم ليوفروا السفر لأيريث إلى البيرو بحثاً عن أودرا.. وارتسمت ابتسامة رقيقة على ثغر بليس الجميل وهي تفكر كيف أن صهرها، وبسحره الغامر، أشار إلى أنهم يجب أن يسمحوا له بإعادة كل بنس لهم، لأنهم كانوا كرماء جداً في تمويل رحلة ايريث.

وبهذا أراد دوم، وهو الثري كما يبدو، أن يجعل الأمور المالية أكثر سهولة عليهم. أمضى فترة طويلة يناقش الموضوع مع الوالد. لكن ايريث أبلغت بليس، أن دوم يرغب في أن يخصص لها مصروفاً خاصاً.

وقالت بليس لها:

ـ لكنني لا أحتاج إلى مصروف.. لقد أصرّ دوم على أن أستعيد مالي

الذي دفعته، وأي شيء آخر سيكون استغلالاً.

ضحكت ايريث:

ـ قلت لدوم إنك ستقولين هذا!

ولأنها كانت سعيدة جداً، عانقت بليس بفرح شديد.

لم تكن بليس متأكدة كيف سيتلقى والدها وزوجته قرارها بالسفر إلى البيرو عندما يتم ترتيب كل شيء.. لكن، ولإحساسها بالارتياح المالي، أخبرتهما القرار في الصباح التالي أثناء الفطور.

لكن زوجة أبيها المُحِبَّة قالت:

ـ وهل ستكونين على ما يرام؟

أكدت بليس بابتسامة:

ـ أنا بخير الآن.

اردف والدها قائلاً:

ـ لقد كفاها التعامل معها كعاجزة.

ـ ستدعين ايريث تعرف توقيت وصولك بالطبع.

هذا ما سبّب لبليس حرجاً وهي التي لم تكن تنوي هذا.

ـ سأسعى لأخبرها لحظة أعرف متى سأرحل إلى كوزكو.

وبعد أسبوعين غادرت انكلترا في طريقها إلى البيرو.

ها هي الآن تغادر غرفتها في الفندق، وتتجه إلى المطعم.. ورآها رئيس السقاة وهي تدخل قاعة الطعام، وبابتسامة عريضة تقدم نحوها بسرعة.

ـ مساء الخير سنيوريتا.. أين ترغبين في الجلوس؟

كان الإعجاب يتملّكه وهو ينظر إلى شعرها وبشرتها، ولو أنه كان يقوم بجهده ليخفي هذا.

ردت دون تفكير:

ـ حيث جلست ليلة أمس، مكان رائع.

وليبرهن على أن ذاكرته جيدة، قاد المرأة الإنكليزية الحمراء، البنية الشعر، إلى الطاولة ذاتها.. فابتسمت له وقالت:

ـ شكراً لك.

تركها لوحدها، تتفحص لائحة الطعام.

ثم قال صوت آخر:

ـ مساء الخير سنيوريتا.

رفعت رأسها لترى أنه السنيور ڤيدلا.. فرَدّت بحرارة:

ـ مساء الخير.

كانت قد أمضت مساء الأمس معه ومع زوجته في قاعة الإستقبال، مَا يقارب الساعة أو يزيد في حديث شيق وممتع.

وكانت لا تزال تبتسم له، وهو رجل بهيُّ الطلعة في أواخر العقد الثاني، حين دخل قاعة المطعم رجل أطول منه في منتصف العقد الثالث من عمره تقريباً.. وكان من الواضح أنه غير مكترث بخدمات رئيس السقاة، ويميل لإيجاد طاولته بنفسه.

اقتربت خطواته من بليس، التي لاحظت في لحظات قصيرة، أن هناك شيئاً أرستقراطياً سلطوياً فيه، وما أن وصل إلى طاولتها حتى سأل السنيور ڤيدلا:

ـ هل لديك اعتراض لو شاركتك الطاولة سنيوريتا؟

طريقة كلامه باللغة الإنكليزية، جعلها ترسم ابتسامة عريضة فردت قائلةً.

ـ بالطبع لا.

لكنها وجدت نفسها لا تنظر إلى السنيور ڤيدلا، بل إلى عينين رماديتين للرجل الأسود الشعر الذي شخر باشمئزاز وهو يمر قربها.. عينان رماديتان فيهما نظرة باردة ما رأت مثلها في حياتها.

وجلس السنيور ڤيدلا إلى طاولتها، بينما كانت الابتسامة تتلاشى،

www.elromancia.com

ويكمل الرجل طريقه والعجرفة تملأ وجهه. وفجأة عرفت بليس لماذا تلك الشخرة المشمئزة.. فمهما كانت جنسية الرجلِ الرمادي العينين، فهناك أمر مؤكد، إنه يفهم الإنكليزية.. وهكذا، حين سمع السنيور ڤيدلا يسأل إذا كان من الممكن أن يشاركها طاولتها افترض، وهو لم يرهما معاً مع زوجته ليلة أمس، أنه يحاول التحرش بها! وواضح كذلك من ردها بابتسامة، أنه ظنها موافقة على هذا التحرش!

للحظات غضب، أحست بليس رغبة في الوقوف والذهاب إلى ذلك الخنزير المتكبر، لتقول له من يظن نفسه لينظر إليها باستهزاء.

ورأته من طرف عينها يأخذ طاولة في مكان بعيد، فقررت ألاّ تنقص من قدر نفسها. لذا، نظرت عبر الطاولة إلى السنيور ڤيدلا.. كان للزوجين ڤيدلا ابن في الثالثة من عمره يلازم المستشفى في ليما يستعيد عافيته إثر جراحة في الأذن، لذلك سألت عن حال الصبي.

قال السنيور ڤيدلا مبتسماً:

ـ إنه يستعيد عافيته.. لكنه بكى اليوم كثيراً.

ردت بتعاطف:

ـ أوه.. أنا آسفة جداً.

ـ مانكو يريد الذهاب إلى البيت. لكنه لا يستطيع، وهذا سبب اضطرار زوجتي للبقاء بقربه..

أردفت بليس قائلة:

ـ وهل كانت تبكي أيضاً؟

رد السنيور ڤيدلا بافتخار:

ـ زوجتي أشجع من هذا بكثير.. لم يظهر عليها أن مانكو كان يحطم قلبها إلا بعد أن تركناه. ومذ تركناه إلى ما قبل نصف ساعة من الآن، لم تتوقف عن البكاء حتى نامت.

أحست بالإشفاق على الزوجين المزقين بسبب شقاء ولدهما ابن

الثلاث سنوات.. وبعد أن طلبا الطعام، تحدثا بلطف إلى أن انتهت الوجبة، وغادرا المطعم معاً.

كانت بليس مسرورة لرفقة السنيور ڤيدلا لها خلال العشاء. ارتسمت على وجهها ابتسامة حين عادت لتأخذ حقيبتها من على الطاولة.. لكن ابتسامتها تلاشت فجأة حين وقع نظرها على الجهة المقابلة للقاعة. وكأنها مسيّرة بآلة توجيه، وجدت نفسها تنظر مباشرة إلى عيني الرجل الرماديتين، الذي نظر إليها بتعجرف في بداية الأمسية. تعابير وجهه لم تكن دافئة، وأبعدت نظرها عنه، واضح أنه يعتقد أنها بعد العشاء ستكون مع رجل لا تعرفه، وهي بطريقها لقضاء وقت عابث معه.. حسن جداً فليظن ما يريد.. التقطت حقيبتها وهي تعي أن السنيور ڤيدلا ينتظر تأدباً، وخرجت معه من المطعم.

عند المصاعد، وبعد الأمنيات الدافئة لعائلته، تركت بليس السنيور ڤيدلا، وصعدت إلى غرفتها.. وبسرعة نسيته.. لكنها في غمرة التفكير بما خططت له للغد، نسيت العينين الرماديتين للرجل الذي في المطعم. الذي بدا وكأن لديه شيئاً ضد النساء.. أو أنه كرهها فور رؤيته لها، وكره أخلاقها.

استيقظت بليس مبكرة نشيطة، وفي نيتها زيارة الضريح الملكي «موتشيكا» المكتشف حديثاً، والذي يعود تاريخه إلى ألف وخمسماية سنة، والواقع على بعد أربعماية ميل من ليما.. يقال إنه يحوي ذهباً أكثر بكثير من ضريح توت عَنخ آمون.. على أية حال، وهي تستقل الطائرة لتوصلها، عرفت أن قسماً كبيراً من الذهب المستخرج من الضريح، أرسل إلى ألمانيا للخزن.

كانت كلها أمل على أية حال وهي تستبدل الطائرة بمركبة تَصِلُها عِبْرَ طريق وعرة إلى موقع آثار «موتش».. لو كانت معلوماتها صحيحة، فهناك آثار أخرى يمكن رؤيتها في المتحف القريب في «لامبايبك».

كل من صادفته بليس ذلك النهار كان متعاوناً معها، ولقضائها وقتاً طويلاً في الموقع التذكاري، الذي كان يمتد فوق فدانين من الأرض، كادت تفوتها رحلة العودة بالطائرة، ووصلت إلى ليما مليئة بالسعادة والفرح.

ولم تكن سعادتها قد خفت بعد أن استحمت وارتدت فستاناً أحمرَ، كان يجب أن يتضارب لونه مع لون شعرها، لكن هذا لم يحصل... ونزلت إلى العشاء.

لأول مرة، والأفكار تدور في رأسها، افتقدت إلى من تتحدث إليه.. لكان من الرائع أن تتناقش مع شخص له الاهتمام ذاته بالآثار البيرونية.

لكن، لم يكن هناك أحد، ولا حتى السنيور ڤيدلا.. ووجدت نفسها تفكر به.. صاحب العينين الرماديتين المتجلدتين.. لكن.. لا سمح الله أن ترغب في قضاء وقت في الحديث معه!

أنهت بليس عشاءها وهي تكبت الاندفاع للاتصال بأختها ايريث، وفكرت أن الزوجين ڤيدلا لا بد غادرا الفندق.. وربما، مع شيء من الحظ، يكون رمادي العينين قد غادره أيضاً. لكن سرعان ما ظهر البرهان على أن أسرة ڤيدلا لم تغادر بعد، فأول من التقت به في فناء الفندق كان السنيور ڤيدلا وزوجته.

حيت الزوجين المبتسمين بسعادة:

ـ مرحباً.. تبدوان فرحين.

أجابت السنيورا ڤيدلا:

ـ نحن كذلك.. سيخرج مانكو غداً من المستشفى، وسنتمكن من العودة إلى منزلنا.

ابتسمت بليس وقالت:

ـ هذا رائع!

وأمضت بضع دقائق في الحديث معهما، تمنت لهما السعادة، ثم ودعتهما.

بينما كانت السنيورا ڤيدلا تتجه إلى المحلات الملحقة بحرم الفندق، بحثاً عن هدية لابنها، اتجهت بليس نحو المصاعد.. لحظة تقدمها، عرفت أن الرجل ذي العينين الرماديتين الثلجيتين، لم يترك الفندق.. ومع ابتعاد السنيور ڤيدلا قليلاً، وتذكر زوجها ما دار بينه وبين بليس بالأمس، سأل:

ـ هل تمتعت بموقع «سيپان» اليوم؟

ردت بليس بحماس:

ـ أوه.. أجل.

ولمعت عيناها مجدداً بحماسة.. لكنها فجأة، لاحظت الرجل الرمادي العينين الذي اختار تلك اللحظة بالذات، ليمر بها، وهي تبدو في حديث خاص.. وتلامس نظرهما.. قالت للسنيور ڤيدلا:

ـ لكن، لا يجب أن تتركني أبدأ الحديث بهذا الموضوع، وإلا ستقفل المحلات قبل أن أنتهي.

كان يوم بليس رائعاً، ولو أنها لم تسافر بعيداً.. وكانت رحلتها لعشرة أميال. هذه المرة، تمكنت من الذهاب بسيارة أجرة. رحلتها ذلك النهار كانت لموقع آخر مكتشف حديثاً، موقع «إل بارايسو» الذي يعود تاريخه إلى ألفي سنة قبل الميلاد، ولا يزال الخبراء يتجادلون حوله.. هل هو معبد أم فن هندسة سكنية؟

كانت تعرف وهي تنزل للعشاء، أنها لن ترى الزوجين ڤيدلا.. وسيكون من الرائع أن لا تراه كذلك! لماذا لا يفارق الرجل الرمادي العينين مخيلتها؟ لم تكن تعرف السبب.. لكنها أخرجته من فكرها بسرعة.. وهي تشعر بالجوع، تذكرت أنها نسيت تناول الغداء، وتناولت طعامها بسرعة.

www.elromancia.com

غادرت قاعة الطعام، وهي تقاوم مرة أخرى الاندفاع لتتصل بأختها، وسارت إلى المحلات التي تبيع بطاقات بريدية مصورة، واختارت بعضاً منها لإرسالها إلى بلادها.

كانت تبتعد عن المحل، متجهة نحو المصاعد، تتفحص جيداً الصور، حين اصطدمت فجأة بشخص ما، شخص بدا من الواضح أنه يعرف أنها لن تفهم شيئاً من اللغة البيرونية.. وقال بلهجة قاسية:

ـ لماذا لا تنظرين أمامك؟

في جزء من الثانية، قبل أن تستعيد توازنها، وتنظر إلى فوق، كوّنت فكرة كاملة عن صاحب الصوت، ولم تكن مخطئة! فقد رفعت نظرها لتلتقي بصدمة البرودة الكاملة للعينين الرماديتين.. لكنها لم تكن تمتلك هذا الشعر الناري بدون سبب.

ردت بحرارة:

ـ ولماذا بحق الجحيم لا تتعلم بعض الأخلاق؟

تجاوزته غاضبة لا تريد انتظار المصعد، واتجهت إلى السلم.. حقاً.. لماذا وهي التي صادفت عدداً لا بأس به من الناس اللطفاء في البيرو، لماذا يدفعها حظها السيء دائماً لمقابلته!

* * *

٢ ـ السيد «هو» عند بابها...

مع حلول الصباح استعادت بليس توازنها. واكتشفت أن هناك عدد وفير من المتاحف، والكنائس، والمنازل التاريخية في ليما. هكذا استيقظت متلهفة ألا يفوتها شيء.

كانت السماء معتمة، مليئة بالغيوم الرمادية. ارتدت بنطلوناً من قماش المخمل بلون العاج وسترة تناسبه، ونزلت إلى قاعة الطعام لتناول الفطور.. كان الوقت مبكراً، لذا لم تتعجب لرؤيتها شخصاً واحداً قد سبقها إلى قاعة الطعام.. لكن لماذا يجب أن يكون ذلك الشخص «هو»؟

ادعى أنه لم يرها.. عرفت هذا من النظرة السريعة التي رماها نحوها، وتظاهرت بالشيء ذاته. وبشكل غريب وهي تجلس تدبر ظهرها له، وجدت نفسها تتذكر كل شيء عنه، من شعره الأسود المصقول جيداً وذقنه الحليق، إلى بذلته العملية التي لا تشوبها شائبة، حتى أنها تتذكر حقيبة أوراقه الموضوعة على كرسي إلى جانبه.. وأدركت كل هذا بشيء من الدهشة، ثم طردته بالقوة من أفكارها.. وسارع نادل مبتسم نحوها، وقال معتذراً:

ـ عفواً سنيورينا.. لم أسمعك تدخلين.

لكنه ابتهج أكثر حين قابلته بليس بابتسامة مشرقة.

في حال نسيت، طلبت فطوراً دسماً.. وكانت تتعامل مع البيض المخفوق واللحم، حين مرّ بها وحقيبته في يده، دون أن ينظر إليها.

www.elromancia.com

وفكرت بغضب: فليكن يومك رهيباً! وتساءلت لماذا يكون لرجل لا تعرف عنه شيئاً مثل هذا التأثير الغاضب عليها، مع أن تفكيرها في العادة لطيف دائماً.. وسيكون يومه رهيباً على أية حال، لأنه من ذلك النوع. واضح تماماً أنه ذاهب إلى عمل ما، وربما لن يعود.

صبت بليس لنفسها كوبَ قهوةٍ آخرَ، وقررت أن تكون كنيسة «لاميرسد» التي تأسست عام ١٥٣٤، وقبل تأسيس ليما ذاتها، أول هدف لزيارتها، لأن أول متحف تريد زيارته لا يفتح أبوابه قبل التاسعة.

أمضت بليس يوماً مليئاً، ولو متعباً، وعادت إلى الفندق في الخامسة والنصف وهي مأخوذة تماماً بزياراتها لعدة متاحف، بحيث أنها تخلت عن الغداء مرة أخرى، عدا توقف قصير لشرب فنجان قهوة.

على أية حال، كانت معنوياتها قوية وهي تنتظر المصعد.. لكنها هبطت حين وصل المصعد ووصل طيف آخر من حيث لا تدري.. دخل «هو» مع حقيبة أوراقه المصعد معها.

تمتمت بليس في نفسها غاضبة، وأخذت تلعن حظها السيء.. يبدو أنها لا تستطيع الاستدارة إلى أي مكان دون أن تجده هناك.. لكنها اعترفت أن في هذا بعض المبالغة.. وسأل بجديّة «أي رقم؟». واضح أنه كان نافد الصبر لتقول له رقم الطابق ليحرك المصعد بأسرع وقت ممكن.

وتجاهلته ومدت يدها تضغط الزر المطلوب.

قال ببرود: «يا للأخلاق!».

واضطرت بليس للوقوف هناك وتقبل ما قاله، فهي التي اتهمته ليلة أمس بأن لا أخلاق له.. وربما من حقه رد مثل هذا الاتهام لها.

توقف المصعد، وخرجت، وخرج هو كذلك، لكنها ذهبت باتجاه وذهب هو في الاتجاه الآخر.. إنه فندق كبير جداً، وأخذت تصلي أن تكون تراه لآخر مرة.

دخلت بليس غرفتها، ووضعت حقيبتها من يدها.. ثم خلعت

ساعتها تمهيداً للاستحمام، ووضعتها على الطاولة قرب السرير، حين رن جرس الهاتف فجأة.

التقطت السماعة قائلة:

ـ آلو؟

بابتهاج، وبقليل من الذهول تعرفت على صوت أختها.

سألت ايريث ساخرة:

ـ كنت على وشك الاتصال بي، أليس كذلك؟

صاحت بليس باهتياج:

ـ ايريث! جميل منك أن تتصلي.. لكن كيف عرفت أنني هنا؟

ـ لقد خمّن دوم أن تكوني في الفندق الذي نصحناك به. حين اتصلت بأبي قال إنك غادرت انكلترا منذ ما يقارب الأسبوع!

قالت بليس بسرعة:

ـ هناك الكثير لأراه.. كيف حال دوم؟

وبدأت تشعر بوخز الذنب لأنها لم تتصل بأختها... منذ أيام.

قالت ايريث بصوت ناعم:

ـ رائع.

وتبادلتا حديثاً طويلاً قالت ايريث خلاله إن والدهما وزوجته بخير، وذكرت بليس ما كانت تقوم به منذ وصولها البيرو.. ثم سألت بليس كيف تسير الأمور مع ايريث في حياتها الجديدة، لكنها استطاعت أن تشعر من صوت أختها قبل أن تقول شيئاً عن الرجل الرائع الذي تزوجته، أنها سعيدة.

مع نهاية المكالمة، زادت من تصميمها ألا تتطفل على شهر عسلهما.. مما تسبب لها بشعور ورغبةٍ جامحة برؤية أختها.. وكبتت ذلك الإحساس بحزم حين قالت لها أختها إنها ستقابلها مع زوجها في مطار كوزكو في اليوم التالي.

www.elromancia.com

ردت بسرعة:

ـ في الواقع ايريث.. أنا..

ـ لكن بليس..

تابعت بليس:

ـ في الواقع.. هناك الكثير أريد رؤيته أولاً.

في تلك اللحظة أحست بغصة في حلقها، واضطرت للتوقف وابتلاع ريقها قبل أن تتابع، لكن ابتلاعها لريقها لم يهدىء الغصة.

ـ سأجيء لأراك طبعاً.. لكنني فكرت أولاً أن أذهب إلى «آركويبا» وإذا كان ممكناً يجب أن أذهب إلى «نازكا».

وصمتت مرة أخرى لتسعل بانزعاج، لكن قبل أن تتابع، تكلمت ايريث والقلق باد بصوتها:

ـ أنت لست على ما يرام! أنت ترهقين نفسك، لقد التقطت الرشح مرة أخرى..

صاحت بليس ضاحكة:

ـ ايريث!

ثم ودعتها بعد دقائق من محاولة إقناعها أنها بخير تماماً.

ارتسمت ابتسامة دافئة على شفتيها وهي تصب لنفسها كوب مياه معدنية، وتحملها معها.. وخلعت حذاءها لتسترخي فوق السرير وهي تشرب المياه المعدنية حتى تخلصت من الغصة في حلقها.. وضعت الكأس على الطاولة قرب السرير، لكنها بقيت تتمدد بساقيها الطويلتين على الفراش.. ولو أنها متعبة، فالتعب يستأهل كل ما شاهدته اليوم. وبقيت هكذا لساعة تستعيد نشاطها وتفكر بأفكار سعيدة، كلها عن ايريث، والبيرو.

كانت أفكارها مرة أخرى مع ايريث، وبعد ساعة وربع من المكالمة، رن جرس الهاتف مجدداً، وفكرت بمرح جاف: لا بد أنني أصبحت

مشهورة، بعد أن بقيتُ في الغرفة ذاتها أربعة أيام متواصلة ولم أسمع رنة جرس هاتف حتى الآن.

تساءلت تمن ستكون هذه المكالمة:

ـ آلو؟

ولم تستمر في العجب طويلاً، فهذه أختها مجدداً. لكن دهشة بليس السعيدة تغيرت إلى ذهول كامل حين أخبرتها ايريث عن سبب اتصالها ثانية.

من الواضح أن قلق ايريث على أختها بدا على وجهها.. وأراد زوجها أن يعرف ما يقلقها.. ولمعرفته بتفاصيل الحديث، اتصل على الفور بصديق له، يعرف أنه في ليما.. وتحولت تعابير وجه بليس إلى عدم التصديق، حين تابعت أختها لتقول إن صديق دوم القديم سيتصل بها ليرى ما إذا كان هناك شيء يمكن أن يفعله ليسهل لها طريقها. ولسوف يساعدها لو طلبت منه ذلك، لترتيب أمر رحلة بالطائرة إلى «أركويبا».

واحتجت بليس، حين استردت أنفاسها:

ـ ايريث!

لقد تدبرت أمر رحلتها إلى الضريح الملكي.. وكان الموظف في الفندق مهتماً جداً في مساعدتها.. لكن أختها على ما يبدو ظنت أنها تحتج على شيء آخر. وقالت بسرعة:

ـ لا داعي للقلق بليس. لن يطلب دوم من أي شخص كان أن يتفقدك.

أحست بليس بالامتنان لاهتمام شقيقتها لكنها لم تشعر بإثارة كبيرة لفكرة إرسال دوم شخصاً يتفقد ما إذا كانت بخير.. وردت:

ـ أعرف هذا! وأنا لا أعني..

ـ لا تكوني صعبة المراس حبي.

وأحست بليس فجأة بوخز ضميرها الذي راعه أن تكون ايريث

www.elromancia.com

العزيزة، مسؤولة عن وضع غمامة في سمائها، لكنها سألت بابتهاج:

ـ حسن جداً.. ما اسمه؟ وهل أنا مضطرة أن أبقى طوال يوم الغد أنتظره ليتصل بي؟

ـ أنت رائعة حين لا تكونين عنيدة.. دوم ناداه كوين.. لكنه على الأرجح سيقدم نفسه باسم كوينتين كوينتيرو. إنه متحدر من عائلة پيرونية أرستقراطية قديمة.

واستمرت ايريث تخبرها عن أصله لتظهر لها قيمته الاجتماعية.

سألت بليس:

ـ وهل يقيم في ليما؟

وتساءلت عما إذا كانت تستطيع أخذ رقم هاتفه وتقول لأختها إنها ستتصل هي به إذا احتاجت لشيء.. لكن ايريث نفت أن يكون له عنوان في ليما.

ـ إنه رجل صناعي، لديه مصانع هناك. ولأنه مؤمن بدعم الصناعة الوطنية، يمتلك مصنعاً لتعليب السمك في المنطقة الساحلية حيث يعيش. كان دوم معه في الجامعة، ويثق به كثيراً.

سألت بليس:

ـ وهل يتحدث الإنكليزية؟

ـ لقد أمضى سنة قبل التخرج في جامعة أوكسفورد، كما قال دوم.

ولاحظت بليس أن هناك دفئاً خاصاً في لهجة أختها المبتسمة في كل مرة تتلفظ فيها باسم زوجها.

ماذا يمكن أن تقول؟ تمتمت محاولة جهدها لتبدو صادقة:

ـ سأتطلع جاهدة لمقابلة صديق دوم.. هل سيتصل بي في الصباح؟

ضحكت ايريث:

ـ سيتصل بك هذه الليلة.. وسيأخذك إلى العشاء.

أعادت بليس السماعة بعد أن أعلمتها أختها أن كوين كوينتيرو

اقترح أن يتصل بها في الثامنة.. التقطت ساعتها، ورأت أن أمامها الكثير من الوقت لتستعد.. ثم تابعت تنفيذ ما نوت عليه... الاستحمام أولاً.

في الثامنة إلا عشر دقائق، كانت ترتدي فستاناً بلون ليموني داكن، وأدركت أن ذلك الرجل، كونه كان مع صهرها في الجامعة، لا بد أن يماثله عمراً، أي في السادسة والثلاثين.

وفكرت متسلية... لا يهم لو كان هذا الرجل، كوين، تلميذاً في الجامعة معه خلال فترة نضوجه. وتطلعت إلى المرآة لتتأكد من تبرجها، وأن شعرها الأحمر لا يحتاج إلى مزيد من العناية، ثم أدركت أنها أفضل حالاً بكثير.

إنها ستأكل على أية حال.. أليس كذلك؟ إذاً لن يكون هناك صعوبة في تناول العشاء مع الأرستقراطي كوينتين كوينتيرو، الذي على ما يبدو له مركز مرموق في المجتمع.. ولسوف تقنعه بالطبع أنها لا تحتاج إلى مساعدته أبداً.. لكن، في الواقع، كان من الرائع أن يفعل صهرها هذا لأجلها.

حين أعلنت ساعتها الثامنة تماماً، توقعت بليس أن يتصل أحدهم من مكتب الاستعلامات في أية لحظة ليقول لها إن السنيور كوينتيرو قد وصل وينتظرها.. لكن حين بقي هاتفها صامتاً مضت دقيقة قرع بعدها أحدهم باب غرفتها، أدركت أن السنيور كوينتيرو لا شك سأل الاستعلامات عن رقم غرفتها وصعد بنفسه ليأخذها.

كان على وجهها ابتسامة وهي تتقدم لترد.. وفتحت الباب.. واختفت الابتسامة فجأة.. إنه الرجل الطويل الرمادي العينين الذي كان يقف هناك، تغيرت ملامحها بسرعة، وسألت بحدة:

ـ نعم؟

ثم بعد ثانية حلت عليها المعرفة الخشنة القاسية ببطء، وأكملت:

www.elromancia.com

ـ أوه.. لا.. ليس أنت!
رد وهو يبدو مرتاعاً تماماً:
ـ لا أصدق هذا!
شمخت بليس بأنفها.. بعض ممن تعرفهم سيكونون مسرورين جداً لفرصة أخذها للعشاء..
ـ أنت لست..
وصمتت، ثم أعادت صياغة السؤال:
ـ هل أنت كوينتين كونتيرو؟
ـ هذا صحيح إذاً!
سألت بحدة مشاكسة:
ـ ما هو الصحيح؟
ـ إنك أنت الأنثى.. وهنا أستخدم كلمات غيري.. الحلوة، اللطيفة، والتي شخصيتها مرضية، والتي جئت لآخذها إلى العشاء.
رفعت بليس ذقنها إلى الأعلى، وقالت بعجرفة:
ـ شكراً لزيارتك سنيور.
ولم يفتها اللمعان في عينيه للهجتها المتكبرة.. وهي تكمل:
ـ لكن، لك أن تعتبر أن واجبك قد تم.. فأنا لن أذهب معك إلى العشاء ولو..
قاطعها بحدة قائلاً:
ـ كم عمرك؟
وجدت نفسها ترد، وهي لا تنوي:
ـ اثنان وعشرون.
قال بسخرية:
ـ إذاً، تصرفي حسب عمرك!
شهقت بذهول:

ـ أتصرف حسب..
ـ توقفي عن التصرف الطفولي، وكوني ممتنة لأن صهرك..
صاحت:
ـ طفولي!
ـ صهرك، عدا ذكر أختك، قلق بما يكفي عليك وعلى صحتك.
قاطعته بحرارة:
ـ صحتي؟ لا شيء خاطىء في صحتي!
وأحست أنها تدافع عن وجودها وهي تقف وجهاً لوجه تحدق بهذا البيروني المتجمد الأسارير.
دون أن يتكلم تطلع بها بعجرفة الأرستقراطي للحظات.. ثم، فجأة، لمعت عيناه بالسخرية:
ـ ألا تعاني شهيتك شيئاً كذلك؟
أحست بالحذر.. بطريقة ما وقد زال غضبه، لم يكن لها ثقة بهذا الجانب الساخر منه. وسألت بعدوانية:
ـ ماذا تعني؟
هز كتفيه:
ـ هل تريدين أن أتصل بأختك لأقول لها إننا لم نتناول العشاء معاً لأنك لا تشعرين بالجوع؟
فتحت بليس فمها بدهشة واستجمعت قواها لتقول له أن يذهب من هنا ويجري مكالمته الهاتفية.. ثم تذكرت كم كانت ايريث مرعوبة حين أصيبت بالالتهاب الرئوي، وكيف أنها اعتنت بها وتملقتها كي تعود شهيتها للطعام.. وكرهت بليس كوين كوينتيرو لأن له اليد العليا.. ويبدو واعياً لهذا.
صاحت بغضب:
ـ هذا ابتزاز!

www.elromancia.com

متأخرة جداً، أدركت أنها زادت من قوة قبضته المتسلطة عليها، بتأكيدها أنها لا تريد أن تقلق شقيقتها عليها وكان يجب أن تقول له أن يفعل ما يريد.

قال بخشونة: «هذا لأنني أنوي الحفاظ على وعدي الذي قطعته».

ولاحظت أن مزاجه الساخر لم يدم طويلاً:

ـ اسمعي.. أنا كاره لمتابعة هذه التجربة بالإمساك بيدك، كما أنت كارهة أن تتعاوني. لكن، دومينغو دوزار موزا صديق طيب لي منذ زمن بعيد.. ولقد أكدت له أنك لكونك الآن فرداً من عائلته، فسيكون من دواعي سروري أن أتناول العشاء معك، وأن أضع نفسي تحت تصرفك لو كان لديك أية مشكلة.

اعتبرت بليس أن ليس لديها سوى مشكلة واحدة.. هو! لكنها رأت من تصميمه أنها إما أن تذهب معه وتسمح له بالحفاظ على وعده، أو أنه سيذهب إلى الهاتف ليتصل بدوم مباشرة. وستكون النتيجة، كما رأت، أن تحصل ايريث على كوابيس ليلية، وقد يقطعان شهر عسلهما ليطيرا على الفور إلى ليما، للتأكد شخصياً من أنها بخير.

قالت بحدة: «هذا أمر سخيف!».

لكن، لعدم وجود خيار آخر، شدت قبضتها على حقيبتها، وخرجت إلى الممر، وأقفلت الباب.

دون كلمة أخرى، سارا جنباً إلى جنب نحو المصاعد، بينما بليس ترغي وتزبد في نفسها: هذا أمر سخيف! إنها لا تريد العشاء معه، ولا يريد هو كذلك العشاء معها.. لكن ماذا يفعلان؟ إنهما ذاهبان للعشاء معاً مرغمين!

لم يكن رأيها قد تغير حين قرر كوين كوينتيرو أنهما سيتعشيان في الفندق الذي يقيمان فيه.. وتوقف المصعد في الطابق الذي فيه المطعم، ونزلا منه.

كانا يجلسان في قاعة الطعام يتناولان أول طبق من عشائهما، قبل أن يكلم أحدهما الآخر. ثم وعت بليس أن كوين كوينتيرو كان يتفرس بها. رفعت رأسها بسرعة، ورأت أنه يتأمل شعرها الأحمر الملتهب.

فجأة أبعد عينيه عن شعرها، وسألها:

ـ هل تحتاجين إلى المساعدة في أية مسألة.. سنيوريتا؟

ردت بأدب، ولو ببرود: «أبداً.. شكراً لك سنيور».

وأعادت اهتمامها إلى الطعام أمامها.

وصل الطبق التالي، وهي تقطع قطعة لحم «الستيك»، فتمتم برقة:

ـ أرجو ألا تكوني قد أخلفتِ بوعدٍ للعشاء مع شخصٍ آخر، من أجل العشاء معي!

لثانية، ركزت بليس عليه نظرة مباشرة بعينيها الخضراوين الكبيرتين، أيها الخنزير! عرفت من بروده الشديد، هذا دون ذكر نظرة الاشمئزاز التي ظهرت عليه حين كانت تسمح للسنيور ڤيدلا «بالتحرش بها»، أنه يسخر منها.

لكنها ستكون ملعونة لو شرحت له صداقتها العابرة مع السنيور ڤيدلا وزوجته.. بدلاً من هذا، دون أن يرف لها جفن، ردت بحلاوة:

ـ لم يكن لدي عرض آخر لهذه الليلة.

وتركت له أن يفهم بنفسه أنها لو كان لديها عرض أفضل، فمن المؤكد أنها لن تتناول العشاء معه.

وهذا ما فعله فوراً.. كما رأت.. فقد بدأ فمه فجأة يرتفع وكأن ردها المستتر سلاه إلى أقصى حد، ولو أن فمه لم يُظهر الابتسام أو أي شيء من هذا.. وأبعدت نظرها عنه.

ثم لاحظت حين نظرت إليه ثانية، أن أية محاولة للابتسام كبتت. وهي تعرف تماماً أن هذا لا يهمها أبداً، وجدت نفسها تسأل:

ـ وماذا عنك سنيور، هل اضطررت إلى إلغاء أي موعد كي تحافظ

على وعدك لصهري، بأن تتعشى معي الليلة؟

تفرس كوين كوينتيرو بها طويلاً.. لكن، بالرغم من معرفتها، أنه يفكر بسخرية، فقد كان رده مختصراً: «لا».

وأثارها رده بكلمة وحيدة، فعليها ألا تثور لأنها ليست مهتمة أبداً.. ثم قالت بعد أن تفهمت سبب عدم وجود موعد لديه، فجأة:

ـ آه.. أنت متزوج!

رد بخشونة: «أؤكد لكِ سنيوريتا، أنني لست متزوجاً».

وكان في صوته شيء حذّرها من أنها تخوض في منطقة حساسة.

وهذا ما جعل الأمر أكثر عجباً، لسماعها نفسها تقول وكأنها تعرف:

ـ لكنك اقتربت من الخطوبة.. مؤخراً.

أوه.. يا إلهي!.. فقد نظر إليها كوين كوينتيرو نظرة عاصفة ليقول لها ما شأنك بهذا.. وعلى عكس ما توقعت، قال:

ـ لفترة ما، يعتقد الواحد منا أن الأمر قد يصل إلى هذا.

وكانت نظرته تتحداها أن تقول كلمة أخرى في الموضوع.

لكنها وجدت نفسها تتابع:

ـ هذا يعني.. أن السيدة موضوع الحديث، أدركت في الوقت المناسب أنك، وفتنتك، ليس ما تريده تماماً.

خرجت الكلمات منها، ثم أرادت استرجاعها.. لكن هذه غلطته، هو المسؤول عن تصرفه الحاد والمتوتر.. فهي لم تعرف نفسها يوماً غير مبالية لمشاعر الآخرين.

كانت على وشك الاعتذار، لكنها أحست بالسرور لأنها لم تفعل حين قال بنظرة خشنة ولهجة قاطعة:

ـ واقع أنني وبالوما لورجا، السيدة موضوع الحديث كما تسمينها، لم نصبح خطيبين، ولا أتوقع أن أراها مجدداً.. هذا الواقع سنيوريتا أمر لا

يعنيك!

أكملت بليس وقد لذعتها حدته:

ـ كما قلت سابقاً سنيور.. فتنتك غامرة.

ونظرت إليه مطولاً.. ومع وصول الحلوى، ركزت اهتمامها على تناولها.

كانت الحلوى عادية، لكنها سهلة التناول، وكانت في منتصف الطبق، حين أدركت أن كوين كوينتيرو لا بد جرح في داخله لمعاملتها الخشنة له.. وأحست أنها يجب أن تتفوه باعتذار لقلة إحساسها.

مرة أخرى، سرها ألا تفعل. فبعد عدة دقائق من الصمت المطبق كسر الصمت، وسأل ببرودة: «وماذا عنك؟».

ـ أنا؟

ـ أصابعك لا خاتم فيها.. لكن هذا لا يعني شيئاً هذه الأيام.

وفهمت ما يعنيه، فكلامه وخزها.

ـ أوه.. أنا لست متزوجة.

ـ لكن هناك رجل؟

افترضت بليس، أن قيامه بمثل ما فعلت عدل.. لكن لأنها اعترفت أن لا مواعيد أخرى لها ذلك المساء، بدت مسألة كرامة أن لا تتركه يعرف أن لا حبيب لها كذلك.

ثم قالت متهكمة:

ـ الرجل الذي نتكلم عنه اسمه نيد جونز، لكن هذا شأني أنا.

نظرت إليه متحدية وأخذت قهوتها.

عند انتهائها من شربها.. دخل شابان وسيمان فاخرا الملبس إلى قاعة الطعام. وكانت بليس تعرف أنهما من نزلاء الفندق، منذ بضعة أيام.. وكما اعتادت، أحنت لهما رأسها في تحية ولم تجد سبباً لأن تفعل عكس هذا لمجرد أنها تتناول الطعام مع واحد من أهل البلاد.

ابتسم لها الرجلان، وردت الابتسامة ثم تحضّرت لسماع المتاعب.

ـ قد تكون فكرة جيدة لو خبأتِ ادعاءك بالتعرف إلى كل رجل تلتقينه. أنت في البيرو.. فقد لا..

لكن بليس كانت قد اكتفت من مثل هذا الكلام، وهي لم تكن راغبة في العشاء مع هذا الرجل المتوحش على أية حال.. ردت بحدة وهي تقاطعه واقفةً:

ـ إذا لم يكن لديك شيء آخر تقوله سنيور.. سأتمنى لك ليلة سعيدة.

وقف هو أيضاً.. ينظر إليها باشمئزاز، ومضى إلى أبعد من تمني ليلة سعيدة لها.

ـ وداعاً.. سنيوريتا.

ابتعدت بليس عنه، وهي تشعر أنها لم تكره يوماً رجلاً بقدر ما كرهت هذا الرجل. كيف يمكن له أن يحذرها من العبث مع أي رجل تلتقي به؟ كيف يمكنه هذا؟ هذا هو ما عناه بكبح تهورها بالتعرف إلى كل رجل تلتقيه.. كيف يجرؤ؟

لكن عزّتها وهي تدخل غرفتها، فكرة أنها تركته دون أي وهم أنها مهتمة بإيقاعه في شركها. مع ذلك، ومما كشفته خلال العشاء، فكرت أنها كانت ستضيع وقتها معه على أية حال.. فقد كان من الواضح أنه لا زال يحب أنثى اسمها بالوما أوريجا.

وهي تخلع ثيابها، وتستعد للنوم، فكرت أنها لا تهتم أبداً بمن يمتلك قلبه.

اندست في الفراش لتنام، أطفأت الأنوار، وغطت في نوم عميق. لقد فعلت ما بوسعها لتفرح أختها، المتحمسة لحمايتها. تستطيع الآن أن تنسى كل شيء عن كوين كوينتيرو وتتابع تمتعها بما تقدمه لها ليما.. ويمكنه أن يشنق نفسه.. وتمنت الا تراه مجدداً.

* * *

٣ ـ شيء ناقص

كانت بليس سعيدة تلك الليلة.. استفاقت في الصباح التالي وقد استعادت نشاطها، واستحمت وارتدت ملابسها وهي تخطط ليومها.. أولاً متحف الذهب، ثم متحف فن العمارة، فالمتحف الوطني للتاريخ. إذا كانت معلوماتها صحيحة هو قريب جداً من المكان.

نزلت لتناول الفطور باكراً.. متسائلة عما إذا كان عليها أن تستمر في نيتها الذهاب إلى «أريكويبا».. إنها تريد هذه الزيارة قبل عودتها إلى انكلترا.. لكن هناك الكثير الكثير لتراه.. ولقد استنفذت الجزء الأكبر من أسبوع إجازتهاالاول.

الذهاب إلى كوزكو واجب، وكوزكو هي عاصمة امبراطورية «الأنكا» البائدة.. وهي دون شك لها أهمية كبرى. فهل تذهب إلى كوزكو أولاً؟ قد تذهب إلى هناك وتقوم برحلة إلى مدينة «الأنكا» في «ماتشو بيتشو» المصانة جيداً، ثم تعود إلى كوزكو ومن هناك إلى «أريكويبا».

كانت بليس تشعر بالرضى في داخلها، وبمرح مشرق، تفكر بخياراتها السعيدة. حين دخلت المطعم، تلاشى أي أثر للابتسام عن وجهها.. فهناك، وحيداً في القاعة، وهو ينظر مباشرة إليها، لم تجد سوى كوين كوينتيرو.

يا للرجل! لكنها تابعت سيرها وكأن رؤيته لم تكدرها أبداً.

حيته بتمدن:

ـ صباح الخير.

وقررت ألا تتطفل على خلوته، وتوقفت قرب طاولة تبعد عنه.

رد دون ابتسام، بمجرد إحناءة الرأس.

ـ بوناس دياس سنيوريتا.

كرهته أكثر حين استدارت لتجلس، ورأت نظرة ارتياح على وجهه لأنها اختارت الجلوس في مكان آخر غير طاولته.

يا للرجل اللعين! وكأنما تريده أن يسليها ويستقبلها على مائدة الفطور! وجبة واحدة معه تكفي.. وشكراً له.

أدركت أنها بالرغم من مشاعرها المبتهجة منذ دقائق، أخذت تحس بالاحباط الآن.. وارتشفت من فنجان القهوة التي صبها لها الساقي، وحاولت العودة إلى مشاعرها السابقة.

لن تدع كوين كوينتيرو يكدرها.. ولماذا تتركه يفعل بحق السماء؟ إنه لا شيء، لا شيء على الإطلاق.. فلماذا يكدرها؟ يا إلهي.. إنها أكثر من سعيدة لأنه فضل تناول الفطور لوحده.

انخفض انزعاجها منه قليلاً وهي تفكر كيف أنه كشف مساء أمس أن امرأة تدعى بالوما أوريجا قد خذلته.. وربما لن يرغب بغير بالوما كي تشاركه الفطور.. ثم توقفت عن افتعال الأعذار له.

الرجل متوحش.. لم يكن الأمر أنه كان يفكر بحبه الضائع.. لكنه على الأرجح، كان يفكر بأنه وفى بوعده لصديقه دوم، وتعشى معها، وسألها إذا كان يمكن أن يساعدها بشيء.. وهو يعتبر الآن أنه قام بواجبه.

وبتصميم، أبعدت بليس كوين كوينتيرو عن أفكارها.. لكنها حين فكرت أن تتمتع بالبيض المخفوق مع اللحم، اكتشفت أنها ليست جائعة.

لم يعد هناك ما يدعوها للبقاء في المطعم.. ودون نظرة حتى، وقد افترضت أنه إما يركز اهتمامه على طعامه أو يقرأ الصحيفة، وقفت لتغادر المطعم دون استعجال.

ذهبت إلى استعلامات الفندق حيث فاجأها الموظف الشاب بتذكره لاسمها:

ـ آنسة كارتر.. كيف أستطيع أن أساعدك.. أرجوك؟

بعد خمس دقائق قررت بليس الذهاب إلى كوزكو في اليوم التالي.. لكن، مع معرفتها أن ايريث ودوم سوف يصران على رحلة الساعة ونصف من جاهارا للقاء طائرتها، لن تعلمهما بوصولها إلى أن تصل إلى هناك.. وبما أنها لم تكن تنوي التطفل على ايريث منذ بدأت الرحلة، ولأنها لا تريدهما قضاء أيام شهر عسلهما في مرافقتها في منطقة كوزكو، فقد لا تتصل بهما حتى تكمل جولتها لرؤية الأماكن الأثرية.

وقال موظف الاستعلامات:

ـ سيكون من دواعي سعادتي أن أتصل بشركة الطيران من أجلك، إذا رغبت.

وكان ينظر برقة في عينيها الخضراوين.

ـ هل تستطيع أن تحجز لي إلى كوزكو في الصباح؟

وهي تسأل لمحت بطرف عينها كوين كوينتيرو يذهب، دون أن ينظر ناحيتها، وحقيبة أوراقه في يده، ويخرج من الفندق.

لم تعد تتساءل لماذا يجعلها الرجل تغضب.. لا بد أنه شاهدها.. واضح إنها لا تستحق منه برأيه سوى «بوناس دياس».

لكنها نسيت كل شيء عنه ما إن دخلت أبواب «موزيو لورو ديل بيرو» أو متحف ذهب البيرو، وتنقلت من معرض إلى معرض. أخذت وقتها متمتعة بالذهب الرائع، والعقود والفن اليدوي الذي يحتويه المتحف.

بعد متحف الذهب، زارت متحف فن العمارة.. وبعد التفرج وإبداء الإعجاب اكتشفت مرور وقت الغداء.. وكانت تشعر بالجوع حين وصلت إلى فناء واسع، تنمو فيه أزهار الجيرانيوم.. ورأت عن بعد عدة أمتار مقهى لا زال يقدم الطعام.

لم تكن بليس واثقة مما طلبت.. لكن طبق الأرز والفاصوليا مع بضع بصلات، كان مقبولاً تماماً.. وهي تنهي الوجبة، أدركت أن هذا آخر يوم لها في ليما، ومن الأفضل لها أن تفكر بما لا تريد أن يفوتها رؤيته.

أمضت بعد الظهر في «الكاتدرائية» ثم ذهبت إلى معرض للفنون، وعادت إلى الفندق متعبة، لكن سعيدة. وكانت محتارة في مسألة نزولها إلى العشاء، لكنها أدركت توترها من اللقاء به.

يا للسماء.. لماذا تشعر بالقلق؟ استحمت، وارتدت فستانها الأحمر، وهي في طريقها إلى المطعم.

لكنها لم تشاهد كوين كوينتيرو ذلك المساء.. عادت إلى غرفتها تحاول اكتشاف لماذا بعد يوم رائع تشعر بهذا الإحباط.

اهتمت بتوضيب أشيائها، وهي تدرك أن كوين كوينتيرو إما أن يكون غادر الفندق أو أن لديه موعداً متأخراً تلك الليلة.

نزلت بليس في الصباح التالي مبكرة كعادتها إلى الفطور. لكن «بوناس دياس سنيوريتا» الوحيدة التي تلقتها كانت من الساقي.. إذن كوين كوينتيرو غادر الفندق، ولقد رأته صباح الأمس لآخر مرة.

أو هكذا ظنت.. لكن حين استقلت التاكسي إلى المطار، وأرسلت حقيبتها الكبيرة إلى قسم الشحن، سارت بعد انتظار قصير إلى الطائرة، وجلست في مقعدها... من يمكن أن يتقدم في الممر بين المقاعد غير.. كوين كوينتيرو؟

حياها ببرودة:

ـ صباح الخير.

وفتح الخزانة الصغيرة فوق رأسها ووضع حقيبته.

ردت ببرودة مماثلة:

ـ صباح الخير.

أدركت أن سبب عدم إظهاره الدهشة في كونها معه في الطائرة ذاتها، لأنه يرى أنه من الطبيعي أن تسافر خلال عطلتها. وهو يجلس إلى جانبها، ويربط الحزام، أحست بارتباك... هل هي مسرورة بالسفر مع شخص تعرفه، أو إنها غير مسرورة لاضطرارها إلى تحمل رفقته حتى الوصول إلى كوزكو؟

وتساءلت عما إذا كانت التحية التي تبادلاها ستكون الحديث الوحيد بينهما. لكن، ما إن انطلقت الطائرة، حتى استدار كوين كوينتيرو نحوها ليقول بأدب:

ـ هل أنت ذاهبة إلى جاهارا؟

ـ قد أفعل.

سأل كوين على الفور:

ـ ألن يستقبلك دوم؟

رأت أنه من الأفضل أن تقول له:

ـ دوم وأختي قررا شهر عسل لثلاثة أشهر، ومن الطبيعي أن أزور جاهارا لرؤيتهما قبل عودتي إلى انكلترا.. لكن، ولأنني أعتبر أنهما لا زالا في شهر عسلهما، لا أريدهما أن يجولا بي في البلاد لأراها.

نظر كوين إليها لثوانٍ طويلة، ثم قال:

ـ أنت تهتمين بعلم الآثار، كما أعتقد؟

وعرفت بليس أنها يجب أن تشكر دوم على هذا، إضافة إلى قوله إنها حلوة ولطيفة وشخصيتها مرضية، لا بد أنه أعطاه لمحة عن مجالات اهتمامها.

ردت:

ـ هذا صحيح . . هل تعيش قريباً من كوزكو؟

كانت تحاول إبعاده عن الحديث عنها . . لكنها تذكرت متأخرة أن كوزكو تتواجد داخل البلاد . . أولم يقل دوم شيئاً عن عيش كوين على الساحل؟

رد قائلاً:

ـ لا .

وتوقفت بليس، لكنه لم يضف شيئاً . . ثم سأل:

ـ كنت مريضة جداً مؤخراً، كما قال لي دوم.

وتمنت بليس لو أن دوم لم يخبره الكثير.

ـ أصبت بالتهاب رئوي بسيط .

محاولة بهذا التخفيف مما أصابها.

ـ كنت أعتقد، مع الطب الحديث، أن الالتهاب الرئوي ليس أشد من الإنفلونزا العادية.

ـ هو هكذا فعلاً .

ـ لكنك أصبت بنوبة سيئة، كما أعتقد؟

نظرت بليس إليه نظرة المتضايق وردت بحدة:

ـ أجل .

ـ وفي الرئتين .

ـ أجل!

وكانت على وشك أن تضربه على رأسه بشيء ما حين تابع:

ـ ثم؟

نظرت إليه نظرة تحكي . . ثم أدركت أنه رجل يجب أن يرضي فضوله . ورأت أنها إن لم ترد عليه لا تضمن عدم سؤال صهرها عنها عند اتصاله بكوين.

قالت بحرارة:

ـ إذا كنت مضطراً أن تعرف، أصبت بنكسة، ثم عدت إلى العمل باكراً جداً، والتقطت رشحاً قوياً وأعادوني إلى منزلي للراحة.

ـ وأنت في الواقع . . لا زلت في إجازة مرضية؟

ـ لا . . فالأمر . .

وسكتت، متذكرة أن الدكتور لاوتون لم يقل فعلاً إنه يعتقد أنها بصحة جيدة وتستطيع العودة إلى العمل.

ـ على أية حال . . أنا بصحة جيدة الآن.

كان لبليس بشرة شاحبة طبيعية، إن لم نقل شفافة، تتناسب تماماً مع شعرها الأحمر، ولطالما تلقت الإعجاب . . لكن حين مرر كوين كوينتيرو نظرة تقييم لها لم يكن في نظرته شيء من الإعجاب، رغم أنها لا ترغب بإعجابه . . لكنها توقعت أن يعلق بحدة على شحوب لونها . . لذلك ارتاحت، حين بدا ضجراً من موضوع صحتها أكثر منها، واختار أن يعلق على شيء مختلف تماماً.

سأل ببساطة:

ـ أي نوع من العمل تقومين به؟

أدركت أن هناك شيء لا يعرفه عنها . . لكنها لم تَرَ ضرراً في أن تقول له:

ـ أعمل في مكتبة.

لكنها أحست بالتعب من أن تكون هدفاً لأسئلته . . ثم صدمتها فكرة جعلتها على حذر.

ـ أنت لست ذاهباً إلى جاهارا . . أليس كذلك؟

ولاحظ حذرها، ونظر إلى عينيها الخضراوين القلقتين.

ـ أنت إذن كنت تعنين حقاً قولك إنك تعتبرين الزوجين الجديدين في شهر عسلهما؟

وهذا لم يكن الرد الذي تريد:

www.elromancia.com

ـ هل أنت ذاهب؟

ـ أنت رومانسية . . ليس لدي خطة لزيارة جاهارا في هذه الرحلة .

لبضع ثوانٍ أحست بليس بالارتياح . . لقد اتصل دوم بكوين في ليما لأجلها . . أليس كذلك؟ وربما يتصلان ببعضهما دائماً! ولا بد من هذا . . فمعرفة دوم بمكان وجود صديقه، دليل واضح على اتصالهما الدائم .

سألت فجأة :

ـ كيف عرف صهري أنك في ليما هذا الأسبوع؟ لا بد أنك اتصلت به لتعلمه .

انفرجت عيناها الخضراوان، حين قال بعفوية قبل أن يتحول إلى السخرية :

ـ ذكية إضافة إلى كونك جميلة . . بما أن هذا يقلقك سنيوريتا، قد يريحك أن تعرفي أنه يمر ستة أشهر أحياناً قبل أن يتصل أحدنا بالآخر .

أحست ببعض الارتياح، لكنها أرادت معرفة المزيد :

ـ أتقول إنه قد يمر ستة أشهر قبل أن تتحدثا معاً مرة أخرى؟

رد ببرودة :

ـ لا أعتقد هذا أبداً .

وهبطت معنوياتها . . جعلها تشعر برغبة خفيفة في أن تكون قاتلة حين أضاف :

ـ دوم يبني لي مركباً . . وعلى الأرجح سنكون على اتصال خلال هذا الشهر بشأنه . . وقلت له أنني سأكون في ليما لبضعة أيام، حين اتصلت به لمناقشة موضوع المركب . وفي اليوم التالي، بعد اتصال أختك بك، اتصل دوم بي . . والباقي . . تعرفينه .

أولا تعرفه؟ فكرت بليس ساخرة وهما يلوذان بالصمت . . لقد حدث ما حدث الآن . . لكنها تفرح كثيراً إذا كان دوم لا يتصل بصديقه،

لقد فعل الكثير لأبريث طبعاً، لكنهما فعلاً في شهر عسلهما وحق السماء . . وفي رأيها أنه لا يجب أن يزعجهما أحد . وأخذت الطائرة تقترب أكثر فأكثر من كوزكو .

شغلت الأفكار بليس لما تبقى من الرحلة . . بحيث أنها حين حطت الطائرة في كوزكو كانت على استعداد لسؤال كوين كوينتيرو إذا كان سيتصل بصهرها متمنية عليه ألا يذكر له إنها كانت في الرحلة ذاتها، وإنها فعلاً في كوزكو .

لكنها قررت عكس هذا حين تراجع إلى الوراء ليسمح لها أن تسير أمامه، ورفعت نظرها . . وتمتمت :

ـ شكراً لك .

وتركت كل شيء عند هذه النقطة لتسير بين المقاعد أمامه، مدركة أنه رجل من النوع الذي يفعل ما يريد، على أية حال .

كانت تشعر بوجود كوين كوينتيرو وهي تنتظر وصول حقيبتها في قاعة الحقائب . . كان على بعد منها . . وأعجبها الأمر هكذا .

على أية حال، بعد أخذها لحقيبتها أخذت تردد كلمات بالإسبانية لاستدعاء تاكسي في كتيب اللغة الذي تحمله . . لكنها أحست فجأة أن حقيبتها أخذت منها، وقال صوت بدأت تألفه :

ـ هذه حقيبة ثقيلة لمثل هذا الجسم الأنثوي الرقيق سنيوريتا . . فهل تمانعين؟

وحمل حقيبتها إضافة إلى حقيبته واتجه نحو باب الخروج .

وجد سيارة تاكسي دون صعوبة في الوقت الذي لحقت به بليس بخطوات بطيئة، رافضة أن تركض وراءه . لكن غضبها ارتفع قليلاً حين رأت بذهول أن حقيبته رافقت حقيبتها في صندوق السيارة .

سألت بحرارة :

ـ ماذا يجري هنا؟

www.elromancia.com

سأل:

ـ في أي فندق حجزت؟

ردت:

ـ لم أحجز.. بعد.

لكنها وجدت نفسها بعد أن فتح لها كوين الباب تدخل السيارة، ثم ينضم إليها.

ما إن انطلق التاكسي.. وكانت قد استعادت وعيها، حتى اندفعت تقول بغضب:

ـ ماذا تظن نفسك فاعلاً؟

ـ من حديثنا في الطائرة، اتضح لي أنك تنوين الإقامة في فندق وأنت في كوزكو، بدلاً من التطفل على شهر عسل أختك.. ولعدم حجزك في أي مكان، أرى لزاماً عليّ أن أهتم بدلاً من صهرك، بأن تقيمي في فندق محترم.

ـ لا داعي لأن تهتم بشيء! أنا قادرة تماماً على العناية بنفسي.. وأنا..

ـ كنت مريضة!

كانت بليس على استعداد للصراخ لو سمعت كلمة أخرى عن مرضها، لكنها لمحت عيني السائق في المرآة الأمامية، وأدركت أنه فهم أنهما يتشاجران، ولو كان على الأرجح لا يفهم شيئاً.

همست من بين أسنان مشدودة:

ـ أنا أفضل حالاً! ولا أحتاج إلى ممرضة! ولا..

قاطعها:

ـ جيد.. فأنا لا أنوي أن أكون ممرضاً.

ـ إذناً لأجل..

ـ لكن، ونظراً لصداقتي الطويلة مع صهرك.. ونظراً لواقع أنك

كنت مؤخراً مريضة، شئت هذا أم أبيت.. لا أستطيع التخلي عنك لتحملي هذه الحقيبة وأنت تبحثين عن مكان للسكن.

وركز عينيه عليها ثم أكمل:

ـ تبدين محمرة الوجه على أية حال.

حين مد يده، ولامس جبينها، ليقدر مدى حرارتها، لم تعد تفكر إطلاقاً. بدأت بشرتها كلها تقشعر.. ولزمها لحظات لتستجمع شتات نفسها.. ثم أبعدت يده عنها ونظرت بتصميم إلى خارج النافذة..

كان التاكسي يتوقف أمام فندق أنيق في الوقت الذي لاحظت فيه بليس أن كوين يفعل ما فعله صهرها وأختها في نصحها بفندق تنزل فيه في ليما.. وهذا أمر يجب أن تتقبله في كوزكو بامتنان.

لكن، أي تفكير بالامتنان تلاشى وهي تخرج من التاكسي، وخرج معها، واستدارت تنوي أن تقوم بجهدها لتشكره بأدب وتتمنى له حظاً طيباً.. ورأته، يدفع أجرة التاكسي، ولاحظت أن السائق أعطى الحقيبتين للحمال الذي خرج من الفندق.

سألت وهو يوجهها إلى الداخل:

ـ هل ستقيم هنا أيضاً؟

رد ساخراً:

ـ هذا فندق كبير يتسع لكلينا!

قالت بغضب: «هذا ما تظنه أنت».

ونظرت نحو المخرج.. وكانت على وشك أن تتبع الحمّال، وتطلب منه إعادة حقيبتها إلى الخارج لتوقف أول سيارة أجرة مارة.. لولا أن كوين كوينتيرو همس.

ـ إلا إذا كنت تفضلين بالطبع أن أتصل بصهرك لأرى أي فندق ينصحك به.

صاحت قبل أن تفكر:

ـ إياك والاتصال به!

وتلقت نظرة ساخرة من عينين رماديتين..

باستسلام، تقدمت إلى مكتب الاستقبال، وتقدم ليقف إلى جانبها، ولم تقاوم طرح السؤال:

ـ هل لديك عمل تقوم به في كوزكو؟

قال بحدة:

ـ هذا أمر لا يعنيك!

ولأول مرة في حياتها أحست برغبة في ضرب رجل..

لكنها لم تضربه.. ولم تقل له كلمة واحدة. وهي لا تزال غاضبة من قوله استدارت تلحق بالحمال، وتسير مبتعدة.

ما إن أصبحت في الغرفة، حتى غاصت في مقعد، واعترفت بأنها تشعر بالضعف بشكل غريب. حركت نفسها، محاولة إبعاد هذا الإحساس.

لم تكن تشعر بالجوع، لكن ولأنها لا تنوي أن تعرض نفسها للمرض مرة أخرى، قررت أنها في سبيل أن تبقى في صحة جيدة، سترفع قدميها إلى الأعلى لنصف ساعة، بعد ذلك ستنزل لتتمشى في كوزكو، وربما ستجد مكاناً تأكل فيه.

عادت بليس إلى الفندق بعد الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم، بعد أن أمضت وقتاً ممتعاً. فقد زارت ساحة المدينة، وتناولت الغداء في «كافيه روما» وتجولت حول أعمال حجرية بارزة تعود إلى عهد «ألانكا» تشعر بالغبطة لوجودها هنا في كوزكو..

ما إن استحمت وغيرت ملابسها، حتى قررت تناول عشاء مبكر. كانت متأكدة وهي تتناول حساء اليقطين، أن قرارها لا علاقة له بواقع أنها هكذا ستخفف من إمكانية رؤية كوين كوينتيرو. فلديها الكثير تقوم به غداً: عشاء مبكر، ثم العودة إلى غرفتها لترتيب خطتها قبل النوم

باكراً.

لكنها شعرت بغرابة أن تعود إلى غرفتها بعد انتهاء الوجبة.. فقد أحست بأن هناك شيئاً ناقصاً.. ولم تستطع سوى أن تتساءل عن سبب انحراف طبيعتها.

مع الصباح، كانت قد تغلبت على الفكرة السخيفة أن عدم رؤيتها لكوين كوينتيرو له دخل بإحساسها.. وإذا كان هناك شيء، فهي تحن وتشتاق إلى موطنها!

وهذا أمر غريب! فهي حتى الآن لم تفكر ببلادها أو بأبيها وزوجته، أكثر أو أقل من أي شخص آخر، في هذه الرحلة التي تعتبرها رحلة العمر.

لم ترَ بليس كوين وقت الفطور، نسيت كل شيء عنه حين خرجت من الفندق إلى المدينة التي كانت يوماً عاصمة امبراطورية «الانكا». اتجهت أولاً إلى الكاتدرائية التي أسست في القرن السادس عشر على أسس قصر يعود تاريخه إلى عهد «ألانكا» يدعى «ويراكوتشا».. ومن هناك إلى «كوريكانشا» وهي دير دمر بزلزال عام ١٩٥٠.

كان الوقت ظهراً حين قررت بليس أن تكون متعقلة. وتوقفت لتأكل شيئاً، ولتفكر بطريقة لرؤية كل شيء سجلته في خطتها لهذا اليوم.. سيستغرق ذلك ساعات وساعات لو أنها ذهبت إلى كل مكان سيراً على الأقدام.

مع سائق تاكسي، وجدت كل شيء مثيراً للاهتمام، ولم تكن في عجلة من أمرها.. لكن بعد أربع ساعات، أمضتها برؤية الآثار القديمة عادت إلى الفندق.

كانت متعبة، لكثرة تسلقها التلال ونزولها وتجولها بين الخرائب، وجلست رافعةً قدميها إلى الأعلى قليلاً، قبل العشاء.

استحمت عند السابعة... نهضت واستحمت، ثم ارتدت بذلة

حريرية ببنطلون . . ونزلت إلى العشاء .

سارع ساق يستقبلها بابتسامة :

ـ طاولة لشخص واحد سنيوريتا !

وقادها إلى طاولة تتسع لاثنين .

ـ غراتسيا .

وابتسمت . . وهي تأخذ لائحة الطعام منه .

وهي تطالع لائحة الطعام، سمعت صوتاً يخاطبها، فيه لكنة تعرفها :

ـ هل لي أن أشاركك الطاولة؟

رفعت بليس رأسها . . وابتسمت «أرجوك» وبهذه الدعوة أخذ كوين كوينتيرو المقعد الذي في مواجهتها .

كانت على وشك أن تعيد اهتمامها إلى لائحة الطعام، حين لاحظت فجأة أنه يحدق بشعرها لا شعورياً . لامست يدها خصلاتها غير مدركة أن الأنوار فوق رأسها كان تنعكس على شعرها بشكل ملفت .

سألت :

ـ هل هناك . . شيء خاطىء؟

قال، لإراحتها :

ـ أبداً . . لكن . هل لون شعرك طبيعي؟

بالأمس، كانت ستعطيه رداً قصيراً على جرأته، أما اليوم، وبعد أن ابتسم، وهذه أول مرة ترى فيها ابتسامته فقد اضطرت أن تعترف .

هكذا هزت رأسها إيجاباً وأعادت يدها إلى حجرها تخبىء انطباعها بأن ابتسامته يمكن أن تذيب أقسى القلوب . قالت ببساطة :

ـ إنه طبيعي . ولا تسألني كيف حصلت عليه، لأن والداي لهما شعر أسود .

ولسبب مجهول، اختبرت بليس الإحساس الذي نسيته منذ زمن بعيد

بالخجل! ورغبت أن يتحول اهتمام هذا البيروني الجميل الطلعة إلى شيء آخر . . فسارعت تقول :

ـ أختي ايريث لها لون الشعر عينه، لذا فاللون ليس فريداً .

ثم وجدت أن لائحة الطعام لها الأهمية الأكبر، وأخذت تتفحصها وكأنها تتمتع بكل طبق مسجل فيها، بينما كانت تستغل الوقت لتتساءل ما الذي دهاها في الواقع . . أمر غريب، هذا أقل ما يقال . . . على كوين كوينتيرو أن يبتسم لها ليدخل إلى رأسها أفكار غريبة .

في الوقت الذي قالت فيه للساقي إنها ترغب في الحساء، يتبعه طعام يدعى «الوموساليترو» تمنت ألا يكون طعمه حاراً جداً، كانت قد جمعت شتات نفسها، لتدرك أن إثارة يومها هي سبب كل هذا . بكل تأكيد، لم تكن خجولة من كوين كوينتيرو . أما بالنسبة للتفكير بأن له ابتسامة مدمرة . . فإن العيش في مستوى مختلف عما اعتادت عليه، لا بد أثر على دماغها . .

وأحست وهي تفكر بهذا بالاشمئزاز .

لم يكن حساؤها أفضل ما ذاقت، وفكرت أنه من الأفضل ألا تزعج معدتها بأكله . . هكذا أعادت الملعقة وأملت بطبق قادم أفضل .

فجأة، تمتم كوين من الجهة المقابلة :

ـ عرفت أن لديك نزعة المغامر . . وتفضلين أن تقعي في أخطائك الخاصة . . لكن . . لكن، لو سمحت لي، سأكون مسروراً جداً بأن أساعدك .

ردت بأدب :

ـ هذا . . لطف منك .

لكنها كادت تقسم وهي تنظر إليه أنه يلاقي صعوبة في كبح ابتسامة . . وعرفت بعد ذلك أن «الوموسالتيرو» عبارة عن قطع لحم صغيرة مقلية مع البصل والبهارات وتقدم مع البطاطس المقلية والأرز .

قالت له:

ـ إنها جيدة.

قال:

ـ سآخذ كلمتك على هذا.. هل فعلت شيئاً اليوم لإرضاء رغبتك الأثرية؟

ردت:

ـ ستتمنى لو لم تسأل.

فجأة أحست بالراحة معه. وهي تتناول «لومو سالتيرو»، أخبرته بزيارتها «للكاتدرائية» و«الكوريكانيتشا».

قال معلقاً ونظرته مركزة على حماسها اللامع في عينيها:

ـ لقد كان يومك ممتعاً.

ـ أوه.. هذا كان في الصباح فقط.. بعد الغداء ذهبت إلى قلعة «ساكاهيومن».. أكنت تعرف أن بعضاً من حجارها أساسها قطع تزن أكثر من مئة طن؟

وسألت برهبة:

ـ كلها نقلت إلى هناك من مسافات بعيدة.. ولا بد أنه لزمها مئات الرجال..

وصمتت، ثم اردفت:

ـ أنا آسفة.. لا شك أنك تعرف التاريخ القديم للقلعة، وها أنا ذا..

قال كوين:

ـ من الممتع سماع هذا دائماً من وجهة نظر عينين جديدتين.

وكان فيه فتنة غريبة وهو يقول هذا بحيث أن أي ارتباك قد تكون بليس أحست به تلاشى على الفور.. وقال مصراً:

ـ أرجوك أن تكملي.

ترددت:

ـ حسن جداً.. بعد تلك القلعة، قمت، بمساعدة سائق تاكسي بالابتعاد عدة أميال لزيارة «كينكو». ومن هناك ذهبت إلى «تامبو مانشاي».

وهو مكان وجدته مثيراً جداً للاهتمام.. فقد كان منطقة حمامات النساء الملكيات في بلاط أنكا، تغذيه مياه من ينابيع جميلة.

كانت بليس على وشك الحديث عن زيارتها إلى «بوكر بوكارا» التي يقال إنها كانت مركز الحراسة لكوزكو، لكنها خشيت، بسبب عدم اهتمام الجميع بعلم الآثار، أن تكون قد بدأت تضجره.. وهذا بالأمس لم يكن ليزعجها.

نظرت إليه، ورد نظرتها بلطف. لكن، حين بدا واضحاً أنها قالت له كل ما تريده عن استكشافاتها ذلك اليوم، لم يضغط لمعرفة المزيد، بل علق:

ـ ألم يخطر ببالك أن تتركي شيئاً إلى الغد؟

فجأة ظهر على وجه بليس ابتسامة واسعة جميلة. كانت تعتقد أنها تكره هذا الرجل.. لكن هاهوذا يمازحها. وأدركت وهي تنظر إلى طبق الحلوى أمامها أنها أنهت طعامها دون أن تعرف.. إنها لا تكره هذا الرجل أبداً.

قالت له بسعادة وهي ترفع نظرها إليه مجدداً:

ـ في الغد سنيور، آمل أن أذهب إلى «ماتشو بيتشو».

وقفت، مستعدة للعودة إلى غرفتها.

وقف أيضاً وهو يرد:

ـ سيأخذ هذا منك اليوم كله للذهاب والعودة، بليس.

نظر إليها... كانت لا تزال تحاول التغلب على دهشتها لأنه ناداها باسمها الأول، حين تابع:

- إذا كنت لن تنظري بعدم رضى إلى الاقتراح. . فقد تتمتعين «بموتشو بيتشو» أكثر بعد ليلة راحة جيدة.

كان فيه الكثير من السحر. أدركت بليس هذا، حتى أن ابتسامة خفيفة كانت بادية على ثغره. وهي تنظر إليه عرفت أنه لو اقترح هذا بالأمس، لكانت أمسكت بخناقه. . لكن هذه رحلة العمر، وحتى لو تجاهلت سحره، فقد أدركت لحظتها أنها لا تريد الشجار معه.

ابتسمت له:

- تبدو هذه فكرة جيدة. . .

وكانت على وشك المغادرة. . حين قال:

- كوين.

أطاعت:

- كوين.

وفجأة بدأ قلبها تتزايد ضرباته بشكل ملفت، فاستدارت، وسارعت إلى الخروج من قاعة الطعام.

***

٤ - أجمل يوم

تبدو الأمور دائماً مختلفة في الصباح. . هذا ما فكرت به بليس حين جلست في سيارة أجرة تتجه إلى محطة قطارات كوزكو، ومعها غداء موضب وفره لها مطعم الفندق في حقيبتها القماشية الكبيرة. . ليلة أمس، وقد نسيت تماماً كم يمكن لكوين كونتيرو أن يكون صعب المراس، أقنعت نفسها أنها سعيدة برفقته! حتى إنها نادته كوين، كما تذكر، وفكرت أنه فاتن. . يا لهذا الانقلاب المفاجىء!

هذا الصباح على أية حال، لم يكن لديها أية أوهام. فلكوين كونتيرو القدرة على ما يبدو أن يكشّر وينبح في لحظة، ويبدي السحر في أخرى. وتجاهلت واقع أن أربعاً وعشرين ساعة مرت ما بين ابتعادها عنه دون كلمة يوم السبت، وبين مجيئه لمشاركتها الطاولة ليلة أمس. ومالت إلى رأي يقول إنها في المرة القادمة التي ستلتقيه فيها، سيظهر على الأرجح أنه على استعداد كي يمضغها لحماً ثم يرميها عظماً.

مع ذلك، وبشكل غريب، حين حاولت إخراج الرجل من أفكارها، اكتشفت أنه يرفض الرحيل.

قررت أن تركز أفكارها على شيء آخر، وحاولت استبدال ذكرى العينين الرماديتين الدافئتين بابتسامة نادراً ما رأتها، بذكرى «ماتشو بيتشو». صحيح إنها لم تزر هذا المكان، لكن، وبما أن صور «ماتشو بيتشو» كانت تملأ كل كتيب سياحي للبيرو، فقد استطاعت أن تتذكر

www.elromancia.com

بوضوح كيف تبدو.

مرة أخرى أحست بالامتنان لموظفي الفندق الذين سهلوا لها الطريق.. فالشاب وراء منصة الاستعلامات، حين تقدمت لتستعلم عن رحلة اليوم المبكرة، اهتم بكل شيء لأجلها، إلى درجة أنه وجد لها سائق تاكسي يتكلم الإنكليزية، كما اكتشفت حين حاولت التكلم بما تعرفه من البرتغالية، إذ قال لها وقد وجدت نفسها في مكان يبدو وكأنه فناء محطة قطارات، بإنكليزية مكسرة: «أنت تأتي إلى هنا».

ظنت بليس أنها ستسافر طوال الطريق بالقطار، ثم قادها سائق التاكسي إلى ما يشبه العربة المتوقفة.

ومع ثقتها بأن موظف الفندق قد أعطى التعليمات اللازمة لسائق التاكسي، فقد بدا لها من المنطق أن تصعد إلى العربة وتنتظر.

مع ذلك أحست، أن هذا أفضل، حين رأت أن هناك أشخاصاً آخرين في العربة، من بينهم عدد من السواح ينتظرون.

أخذت مقعداً مزدوجاً قرب النافذة، وأدركت أن العربة لا بد ستسير بهم جزءاً من الطريق فقط.. فقد تذكرت كل شيء قرأته، هناك طريق واحدة للوصول إلى تلك المدينة الضائعة لحضارة الانكا، «ماتشوبيتشو»، وذلك بالقطار.

وجاء رجل لم تهتم به بليس كثيراً جلس إلى جانبها.. ولم تكن لتعارض أن تتلقى نظرة إعجاب بين حين وآخر.. لكنها بكل تأكيد لم تهتم بالطريقة التي كان يرمقها بها الرجل قبل أن تدير رأسها بعيداً عنه.

بعد أن أدركت أنهم في نقطة ما، سيستبدلون العربة بقطار، أخذت بليس تحدق بثبات إلى خارج النافذة، تأمل أن يتم هذا في وقت سريع. وسمعت شخصاً يخاطب الرجل إلى جانبها.. ما قاله الوافد الجديد، قاله بلهجة لا تقبل الرفض، جعلت بليس تعتقد أنها تعرف هذا الصوت.

ولفضولها الشديد، رأت أنها مضطرة إلى التخلي عن النظر إلى خارج النافذة. فأدارت رأسها لتصدم صدمة الحياة... رأت الرجل الطويل القوي البنية، أسود الشعر واقفاً في الممر بين المقاعد، ينتظر بصبر الرجل إلى جانبها ليتحرك.. فجأة، وبشكل غريب تسارعت دقات قلبها.

حياها كوين بعد أن ترك الرجل على مضض المقعد، وجلس هو فيه:

ـ صباح الخير بليس.

ابتسمت بليس:

ـ بوناس دياس.. هل أنت ذاهب إلى «ماتشو بيتشو» أيضاً؟

رد بسهولة:

ـ لقد صدمني فجأة.. أنه مضى زمن طويل لم أتفرج فيه على بلادي.

ضحكت:

ـ وهل ماتشو بيتشو في برنامجك؟

ورأت عينيه تتجهان إلى فمها:

ـ طبعاً.

ثم جاء سائق العربة، وأدار محركها، وبدأت الإثارة تحرك بليس مجدداً... بعد أقل من خمس ساعات، ستشاهد «ماتشو بيتشو» بنفسها. وأحست بامتنان كبير عندما طلب كوين من الراكب الآخر أن ينتقل، وشعرت عندها أنها قادرة على الاسترخاء والاستمتاع بكل شيء.

خلال نصف ساعة من انطلاق العربة، كانوا يمرون في مناطق ريفية جذابة حيث الأشجار العالية تزين المناظر.. وبعد ربع ساعة من الوقت، رأت بليس من على بُعد الثلج يغطي قمم جبال «الانديز».

شهقت:

ـ منظر رائع!

واستدارت على الفور في مقعدها، تريد أن تستمتع بالمنظر مع

شخص آخر.. رأت باستغراب أن كوين كان يراقبها، ولا يراقب المناظر.. وأدركت أن صيحة السعادة جعلته ينظر إليها.. فتمتمت:

ـ لقد شاهدت كل هذا من قبل.. طبعاً.

رد بلهجة المتودد:

ـ لكنني لم أشاهدها من قبل في مثل هذا اليوم اللطيف من أيام آب، ترافقني امرأة إنكليزية نارية الشعر.

بطريقة ما لم تعد تشعر بليس بالارتباك.

أدارت رأسها لتتأمل المناظر خارج النافذة.. هل كان يلمح أنه ينوي مرافقتها طوال اليوم؟ وأدركت أنها ستحب رفقته لها.

لنصف ساعة خلت، استمتعت بليس بالمناظر التي أصبحت كلها الآن ريفية، من نافذة العربة.. بينما كانت أفكارها بين حين وآخر تتجه إلى الرجل إلى جانبها... لم تكن تعرف بعد أين يسكن في البيرو.. فهي لن تعرف على الأرجح، إلا إذا سألت أختها.. صحيح أن هذا غير مهم، لكنها لم تستطع إلا أن تتساءل ما إذا كان سبب قيامه بهذه الرحلة اليوم، يعود إلى أنه لا يريد العودة إلى بلدته.. وربما تعيش صديقته السابقة «بالوما» في منطقة ساحلية.. وربما بسبب رفضها طلبه الزواج منها مؤخراً، يريد فرصة للتنفس بعض الوقت ليتقبل رفضها قبل أن يراها مجدداً، لكن ألم يقل كوين إنه لا يتوقع رؤيتها مجدداً؟

وهذا يعني طبعاً، أنها لا يمكن أن تسكن قريباً من منزله.. ثم تابعت بليس تتساءل ما الذي جعله يقرر الذهاب إلى «ماتشوبيتشو» اليوم.. أم إن هذه كانت نيته منذ زمن؟ لم يذكر هذا طوال فترة العشاء بالأمس حين قالت له إنها تنوي الذهاب إلى «ماتشوبيتشو» اليوم، وبما أن لا أحد يستطيع العمل طوال الوقت، ظنّت بليس أن كوين قرر أن يقتل وقته.. وفي الوقت عينه، يخسر شيئاً من وحدة قلبه.. في البقعة السياحية الشهيرة حيث توجد جموع من الناس. ثم قطّبت جبينها الأملس.

سألها كوين:

ـ هل هناك شيء بليس؟

أبعدت عينيها عن مياه النهر الصافية الذي كانوا يمرون به:

ـ كنت أتساءل.. ما اسم هذا النهر؟

ومنعتها كبرياؤها عن البوح بالحقيقة.

قال لها:

ـ إنه «أوروبامبا».

لكن عينيه تسمّرتا في وجهها وبقيتا لحظات قبل أن تتوقف العربة فجأة بعد ظهور ثور وسط الطريق، قطع عليهم المسير.

عادت بليس للتأمل بالمناظر خارج النافذة وأخذت تتساءل عن سبب انحراف مزاجها.. كانت واثقة أنها لا تبدي اهتماماً بأن تكون رفيقة بديلة عن المرأة التي تمتلك قلبه.. ولو أنها بديلة ضعيفة.. إذ لا توجد صداقة بينها وبين كوين.

ولماذا تشعر بالاستياء، هي التي تعرف كيف تختار صداقتها مع الرجال؟ لا بد أن ما يشعرها بالغضب استخدامها كبديل.. لكنها لم تتمكن من تحليل سبب إحساسها بأنها مهملة شخصياً.

قررت بليس أن لا وقت لديها لتخوض في تحليل ذاتي عميق، وبعد لحظات لم تعد ترى سبباً للمحاولة... إنها في البيرو، بحق السماء، سوف تتمتع بكل لحظة فيها.. وقريباً ستعود إلى انكلترا.. فكل ثانية هنا ثمينة.

كانت العربة تمر بهم عبر قرية صغيرة، حين قررت رمي أفكارها جانباً، وسمحت لفضولها أن يتحرك.. وسألت رفيقها:

ـ أيمكن أن تقول لي معنى تلك السارية الطويلة وكأنها رسم زهور؟

ـ إنها تعني أن تقول لكل مهتم إن المكان فيه «تشيتشا» للبيع.

نظرت إليه، ولم ترَ في تعبير وجهه اللطيف ما ينم على أنه يتألم في

داخله.

ـ تشيتشا؟

ـ إنه شراب من صنع محلي.

ثم أدارت رأسها لتنظر إلى خارج النافذة.

راحت تتساءل ماذا دهاها، حين توقفت العربة، وأدركت أنهم وصلوا إلى آخر محطة.

سألت كوين وهي تحاول البقاء إلى جانبه:

ـ أين نحن؟

ـ أولانتاي تامبو.. نحن..

صاحت بذهول:

ـ لا!

ـ وهل سمعت بها؟

ـ إنها على لائحة أماكن زيارتي.

أظهرت حماستها وهي تفكر بما قرأته عن «أولانتاي تامبو».. بلدة كانت لا تزال مسكونة. منازلها وشوارعها محفوظة كما تركها أهل الانكا بالضبط أثناء هروبهم من الإسبان.

قال كوين وكأنه عرف بشيء من لهفتها:

ـ ليس هناك وقت الآن، كما أخشى.. سنلحق بالقطار إلى «ماتشوبيتشو» قريباً.

ضحكت بليس بصوت مرتفع:

ـ إذن، سأعود غداً.

ووعدت نفسها... غداً ستعود إلى أولانتاي تامبو، غداً سترى البلدة، وترى الشرفات الرائعة الهندسة التي قرأت عنها، ومركز الحراسة الرائع الذي بني في مكان معزول وسط الجبل. استدارت، وباندفاع متهور، اشترت لوحة جدارية مشرقة الألوان من امرأة شابة مبتسمة

كانت تحمل طفلاً صغيراً.

سألها كوين ممازحاً:

ـ ماذا ستفعلين بهذه؟

وهي تحمل اللوحة سارا بضع ياردات إلى محطة القطار.

في الواقع لم تكن بليس متأكدة. غرفتها في بيت ذويها مزينة بألوان شاحبة، والألوان الأحمر والأصفر ستبدو نافرة لو علقتها في غرفة نومها.

قالت ضاحكة:

ـ سأفكر بشيء ما.

ووضعتها في حقيبتها القماشية.

قال كوين معلقاً:

ـ هذه حقيبة كبيرة جداً لامرأة صغيرة!

صغيرة! طولها يبلغ خمسة أقدام وتسعة إنشات!

قالت تدافع عن نفسها:

ـ لقد وضعت فيها غدائي.

ـ آه!

واضطرت بليس للضحك مجدداً.. واضح من النظرة على وجهه، أن المجيء بالغداء معه أمر لا يمكن أن يفكر به.

حافظت على روحها المرحة.

وتحدثا طويلاً وهما ينتظران انطلاق القطار. لكن، حوالى منتصف النهار، وقد بدأ القطار بالخروج من المحطة، صمت كوين وتركها تراقب ما تريد من نافذة القطار.. وكأنما يعرف أنها لا تريد أن تترك شيئاً.

بعد نصف ساعة لاحظت بليس أن الحياة النباتية بدأت تتغير فنظرت إلى كوين:

ـ هناك المزيد من الأشجار هنا.

ـ إنها بداية غابات المطر.

وأعادت بليس اهتمامها إلى المناظر. ثم نظرت إلى الناحية الأخرى من القطار حيث رأت عبر النافذة نهر «أوروبامبا» يتحول أبيض ومزبداً فوق تضاريس صخرية.

وبعد مسافة من اندفاعه فوق الصخور، أخذ يتدفق بهدوء. عندهااسترخت بليس تستوعب بلطف كل شيء حولها.

أحست أنه من الغريب أن يبدو كوين قادراً على قراءة مزاجها كما هو بالضبط، ثم بادرها سائلاً:

ـ لقد سافرت إلى خارج بلادك من قبل.. بالطبع؟

ـ أوه.. أجل.

ـ وواضح أنك استمتعت بما رأيته حتى الآن.

ـ أعتقد أنه حان الوقت لأن أكون أكثر ثقافة.

لا شك أن كوين واسع الثقافة، وهي مستعدة أن تراهن أن بالوما أوريجا هي هكذا.

كانت قد بدأت تشعر كم هي متناقضة مع نفسها لأنها لا تريد أن تكون مثل بالوما أوريجا، حين قال كوين، بعد أن تفرس في وجهها الذي كان خالياً من التبرج:

ـ جزء من فتنتك بليس هو في طريقة ما أنت عليه.

سألت:

ـ حقاً؟

ولم تكن واثقة إذا كان هناك تلميح خفي ما في كلامه... قال:

ـ صدقي.

وبدا صادقاً، وابتسم تلك الابتسامة المدمرة، ثم وجدت بليس شيئاً له أهمية كبرى في الخارج.

كانت الساعة تقارب الواحدة والنصف حين غادر مكانه وعاد يحمل لفافة فيها سندويشات، وعلبتان من المرطبات الباردة.. وابتسمت

بليس، قد لا يكون فكّر بأن يأتي معه بغداء جاهز.. لكنه ما كان ليعتقد أنه سيموت جوعاً. أعطاها إحدى علب المرطبات، وبدا لها وقتاً مناسباً لتبحث في حقيبتها لتعرف ما الذي حضّره لها الفندق.

كانت المرة الأولى التي تتناول فيها طعام نزهة في قطار.. فتمتعت بالطعام.

ثم قالت لكوين:

ـ سأذهب لألقي نظرة على خدمات الغسل.

وهو يقف ليدعها تمر، لامس كتفها صدره... وأدركت وهو قربها هكذا، أنه فعلاً طويل وأنها «صغيرة» بالنسبة إليه.

تمدّدت قليلاً لتستريح.. لكن مع عودتها إلى مقعدها اكتشفت أن ليس هناك وقت طويل بعد للرحلة.. ومر القطار أولاً عبر أحد الأنفاق، ثم عبر آخر، وفي الثانية وعشر دقائق تماماً، توقف القطار في محطة «ماتشوبيتشو».

ابتدأت بليس تشعر بالنشوة. إنها، فعلاً هنا، في «ماتشوبيتشو» المدينة التي كانت حتى عام ١٩١١ مخفية عن العالم الخارجي، ما عدا بضع قرويين يعرفون بوجودها.

افترضت أنها كانت ستتمكن من التصرف لوحدها.. لكن من الألطف أن تكون مع شخص كان هنا من قبل. ولأن «ماتشوبيتشو» كانت في مكان ما عالٍ في الجبال، فهناك طريق واحدة، هي السير للوصول إلى هناك.

كانت قرب مجموعة من البائعين المتجولين حين قال كوين:

ـ من هنا.

وأخذ مرفقها.. وكانت سعيدة بأن تذهب معه، وسرعان ما أصبحا مع مجموعة كبيرة من المسافرين يصعدون إلى عربات صغيرة تتسع لأربعة وعشرين شخصاً ستحملهم صعوداً في طريق متعرج لا يخلو من المخاطر

وصولاً للمدينة الجبلية الواقعة عالياً.

كانت دقائق مثيرة.. وتمسكت بليس بقوة بمقعدها. وبوصولهم إلى مقصدهم، خرج كوين أولاً واستدار ليساعدها في النزول.

أمسك يدها بقبضة ثابتة وبقي ملتزماً بها وهي تنزل من العربة.. ثم أدارها لينظر إلى وجهها وسأل:

ـ هل أنت بخير؟

كان قلبها يتسارع بسبب الإثارة.. لكنها لم تكن تريده أن يتذكر، أن صهرها ذكر له أنها كانت مريضة. هناك الكثير لتراه، وتريد رؤيته كله، قبل أن يضطرا إلى العودة نزولاً من الجبل، للحاق بالقطار.

قالت بعناد:

ـ لم أكن يوماً أفضل حالاً!

تابع النظر إليها بثبات لبضع لحظات، لكن، حين بدا مستعداً لتصديقها، أحست أنها قادرة أن تكون متسامحة وتتركه يحمل حقيبتها.. أخذها منها وسأل:

ـ ماذا ترغبين في رؤيته أولاً؟

ضحكت:

ـ كل شيء.

ضحك معها، وأصبح كل شيء في عالمها رائعاً.

خرائب ماتشوبيتشو تقع في مكان مرتفع بين قمتين من جبال ماتشوبيتشو، ولقد اكتشفت الخرائب الأثرية على يد سيناتور أميركي وبروفسور.. وامضت بليس ساعتين رائعتين، وهي تسير وتتسلق وتصرخ بإعجاب لاكتشافات الدكتور بنغهام.

هاتان الساعتان لن تكونا أبداً كافيتين للتفرج والإعجاب بالجلول الزراعية، والمعابد، المنازل، البرك بالنوافير المبنية على شكل مدرجات، والتي ترتفع ألفي قدم من وادي «أوروبامبا».

زلت بها القدم، لكن كوين كان هناك ليمسك بذراعها.. وقال بهدوء «اثبتي!» وهي تنظر إليه، تطلع بعينيه الرماديتين إليها وأحست أن خديها احمرا من الإجهاد. ولأنها كانت تشعر بضيق التنفس قليلاً، لم تجادله حين أبقى قبضته على ذراعها، واضطرت إلى الاستراحة لبضع دقائق، وكأنه كان يعي الضغط الذي أشعل رئتيها مؤخراً.

نظرت بخوف إلى الطريق الملتوي الممتد على مدى ثلاثة عشر ميلاً صعوداً إلى جانب الجبل.. وهو هندسة حديثة بالمقارنة مع الخرائب التي تحيط بهم.. وسألت:

ـ هل هذا هو الطريق الذي قصدناه في الباص؟

رد مداعباً:

ـ وهل أنت متشوقة للنزول؟

أحست أن في كلامه دلالة على أن النزول سيكون أكثر خطراً من رحلة الصعود.

انتشر الزوار في كل مكان، ولم تندهش حين وصلا إلى خرائب برج المراقبة ووجدت أنها وكوين لوحدهما.

كانت تمتع عينيها بمبنى البرج الغرانيتي حين أصيبت فجأة بنوبة سعال، لم تستطع السيطرة عليها بالرغم من محاولتها الجاهدة، وتطلعت نحو كوين، ثم بعيداً مرة أخرى فقد كان ينظر إليها بتركيز.

حاولت أن تبعد اهتمامه عنها، بالإشارة إلى أسفل الجبل، حيث يمكن رؤية النهر يشق طريقه متلوياً:

ـ هل هذا النهر المتدفق هو «أوروبامبا»؟

لكن محاولتها إبعاد اهتمام كوين بها ذهبت سدى، حين خالط السعال ما كانت تقول.

قال بهدوء:

ـ لا تتكلمي.

وتقدم منها بضع خطوات، مكملاً:

ـ حاولي أن تسترخي.

ولدهشتها، اقترب أكثر، ليستغل وضع رأسها على صدره لترتاح عليه.

خف سعالها، ولو أنه لزمها بعض الدقائق لتتأكد أن السعال انتهى..

أخيراً قالت:

ـ أنا.. آسفة.

وهي تحاول الابتعاد عنه، اكتشفت أن ذراعيه تعانقانها. وقال بهدوء:

ـ استريحي لبضع دقائق أخرى.

وهي تلقي بثقلها عليه، بدا لها أن نوعاً من الأمان يجتاحها.. ولم تدرك كم هي متعبة.

فارتمت بأمان بين ذراعيه، وكانت تستعيد عافيتها أكثر فأكثر طوال الوقت.

وتذكرت كيف أن ايربث قالت لها إن المرتفعات لا تحترم أحداً. وتمسكت بهذا لتعتذر عن نوبة السعال:

ـ لا بد أن السبب هو الارتفاع.

وتراجعت عنه، ثم نظرت إليه، لكن كل شيء كانت تريد قوله طار من رأسها تماماً. لأنها وهي ترفع عينيها إليه، رأت أنه يرتجف.. وأحست بذراعيه تشتدان حولها مرة أخرى.. نظرت إلى الأسفل، وركزت على أزرار قميصه، إنها بحاجة أن تجمع شتات نفسها.. ثم، فجأة، ارتخت ذراعاه وامسك بيديها يبعدها عنه بلطف، وثبات.

لكن يديه كانتا لا تزالان على ذراعيها حين قال:

ـ إذن، أقترح أن نعود لنلحق بالقطار.

قاد كوين الطريق عائدين إلى مواقف الباصات.. خطواته غير مستعجلة، لا تعطيها فرصة للتعب أو ضيق النفس وهي تسير خلفه ببطء.

أحست وهما يركبان الباص أنه يراعي شعورها، وتساءلت، مع انطلاق العربة، ما إذا كان قد سئم رفقتها.

كانت محطة القطارات في «ماتشوبيتشو» مليئة بالسواح، وبجيش من التجار، والكثير من الأصوات الضاجة.. كان المكان مليئاً بالأولاد، والكلاب الشاردة، وبالمناظر الخلابة. تمتعت بليس بكل هذا بينما كان كوين، ويده تحت مرفقها يأخذها معه إلى غرفة الانتظار، حيث بدا لها أن التجار ممنوع عليهم دخولها.. كان هناك قسم خاص بالمرطبات، وأحست بالسرور حين عاد كوين بعد أن تركها لدقائق ومعه عصير برتقال ورغيفي خبز بالسكر.

ابتسمت له:

ـ شكراً.

كانت ممتنة للعصير، وفكرت أنه من الأفضل لها وهما سيواجهان ساعات من السفر، أن تأكل شيئاً.

بعد الخامسة والنصف بقليل خرج القطار من المحطة.. ومع استقرار بليس أدركت أنها متعبة كثيراً..

عاد كوين إلى الصمت.. ومرة أخرى تملكها إحساس غير مريح أنه سئم منها، لكنه كان لطيفاً.. فكرت بهذا ناعسة، لكنها قاومت النعاس.. ربما مرد هذا لأنه سئم بشكل عام، وألحت عليها الفكرة.. قلبه متألم لأجل بالوما أوريجا، هذا أمر مؤكد.

حاولت بليس إبعاد كوين وحبيبته السابقة عن أفكارها بطريقة ما. لم ترغب أن تفكر بهما، ولا تشعر بالارتياح وهما يحتلان رأسها.. وأزعجها مجرد التفكير بهما.

توجهت أفكارها إلى كيف ضمها كوين بين ذراعيه في ماتشو بيتشو، حين بدأت عيناها تطبقان مرة أخرى. لطف منه أن يتركها تستريح على صدره إلى أن تنتهي نوبة السعال المرهقة.. لطف كبير..

تحركت بليس، ومدت يدها لتلامس شيئاً صلباً.. وسأل صوت لطيف قرب أذنها:

ـ هل نمت جيداً؟

استفاقت فجأة. وأدركت أن رأسها على كتف كوين، فجلست مستوية على الفور، تعتذر:

ـ أوه.. أنا آسفة!

ـ في أي وقت شئت.

كان حوله جو استرخاء اضطرها للابتسام، وقال يعذرها بلطف:

ـ كنت مرهقة.. كيف تشعرين الآن؟

نظرت بليس إلى ساعتها، كانت تشير إلى الثامنة إلا عشر دقائق.. وسألت:

ـ هل نمت ساعتين كاملتين؟

وراعها أنه بسبب وجود رأسها على كتفه بقي مسمراً في مقعده.

ـ أنت تعرفين بالطبع.. أنك تشخرين؟

ـ أنا لا أشخر.

ـ هذا صحيح.. أنت لا تشخرين.

وأدركت أنها تحب مزاحه، ونظرت إلى خارج النافذة لترى أنهم لا بد مسرعون عبر شارع قرية ما.. عندها أدركت أنها، إضافة لتقبلها مزاح كوين، فقد أحبت هذه البلاد.. لقد حاكت البيرو تعويذة سحرية حولها، كما فعلت بأختها من قبلها، ووقعت في حب البيرو.

كانت الساعة حوالى التاسعة حين وصل القطار إلى كوزكو.

أفرغ القطار حمولته من الركاب، وكانت بليس مسرورة لأنها كانت

مع كوين، رجل يعرف طريقه، فبدون وقت يذكر أمن لهما سيارة أجرة، واتجها إلى الفندق.

وقفت بليس معه أمام منصة الاستعلامات بانتظار استلام مفتاحي غرفتيهما.. ثم ذهبت معه إلى المصاعد، حيث علّق وهما ينتظران:

ـ لا داعي للسؤال إذا كنت استمتعت بيومك.

ابتسمت:

ـ ماتشوبيتشو مكان رائع.

دخلا المصعد... وهو يضغط على زر المصعد إلى الطابق الذي يقيمان فيه، تملكها فجأة خجل سخيف، في المكان المغلق عليهما.

وهي تتساءل ما الذي دهاها، فقد تخلّت عن الخجل منذ سنوات عديدة، ليعود ويتملك بها مؤخراً.. انفتح باب المصعد.

خرجت منه، وهي تتوقع، أن يختفي أي إحساس بالخجل، لكن هذا لم يحصل.. فبعد أن توقف كوين معها لحظة قبل أن يتجه إلى غرفته، نظر إليها ليقول:

ـ هل سأراك في قاعة الطعام بعد ربع ساعة؟

لم تستطع إخراج كلمات الموافقة. أجابت:

ـ لست.. جائعة.

ودون أن تتمنى له ليلة سعيدة، الأمر الذي اعتبرته من سوء الأخلاق، سارت بسرعة مبتعدة عنه إلى غرفتها.

بعد نصف ساعة صعدت إلى السرير تتقبل فكرة عدم شعورها بالجوع.. لكن كان يمكن لها أن تأكل شيئاً، مهما كان ذلك قليلاً.

أطفأت النور، تقرر أن ليلة مبكرة أخرى ستعيد لها قوتها، لتتأكد من استعدادها لزيارة «أولانتايا تامبو» في الغد.

مع ذلك، في كل ليلة منذ وصولها إلى البيرو، كانت تخلد إلى النوم وبرنامج اليوم التالي في فكرها، لكنها دخلت الفراش هذه الليلة،

وأفكارها في مكان آخر.

لقد كانت ماتشوبيتشو رائعة.. وكان كوين رقيقاً لطيفاً جداً..

وبشكل عام، فضلت أن تعتبر اليوم أحد أفضل أيام حياتها.

* * *

٥ ـ تعالي إلى سجني!

نامت بليس تلك الليلة نوماً عميقاً.. لكنها استيقظت في الصباح التالي وهي لا تزال تشعر بتعب غريب، وخرجت من السرير متأخرة على غير عادتها، لتجد نفسها مضطرة للاستعداد لبدء يومها.

بعد أن استحمت وارتدت ملابسها، حاولت أن تركز أفكارها على زيارة بلدة «أولانتاياتامبو».. لكنها اكتشفت أن حماستها لهذه الزيارة تلاشت تماماً!

نزلت بليس إلى الفطور، وهي لا تزال تتساءل أين الحماسة التي كانت تتمتع بها بالأمس؟ دخلت مطعم الفندق، ورأت كوين وقد أنهى فطوره، وكوب القهوة.

منذ بضعة أيام، كانت لتتجاهله، وتجلس في مكان آخر.. أما اليوم، فقد تخلصت من كراهيته، وأصبحت معجبة به تماماً.. وتقدمت إلى طاولته، وحين وصلت إليه وقف.

حيته:

ـ بوناس دياس، هل أشاركك الطاولة؟

قدم لها كرسياً، وسرعان ما تمنت لو تركته ينهي فطوره لوحده.. لأنه سرعان ما لاحظ أنها لم تتناول شيئاً سوى عصير الفاكهة والقهوة. ولم يجد سبباً يدعوه كي يعلق على هذا.

ـ ألست جائعة هذا الصباح؟

www.elromancia.com

هزت بليس رأسها . . وردت :

ـ هذا أمر عادي .

وظنت أن هذا نهاية الموضوع . لكن ، لا . . فقد كان لكوين كوينتير و سؤال آخر :

ـ هل عادة عدم الرغبة في الطعام جديدة عليك؟

ـ جديدة؟

ـ منذ مرضك أعني .

ردت بعجب :

ـ حقاً! العديد من الناس لا يتناولون الفطور . . والبعض يتناول أي شيء قبل الظهر ، على أية حال . .

قاطعها :

ـ لكنني رأيتك تأكلين وتتمتعين بطبق من البيض واللحم في ساعة مبكرة جداً .

نظرت بليس إليه . . وقالت :

ـ حسن جداً . . اليوم لست جائعة .

جلس دون تعليق يتفرس في وجهها . . . لأنها بالأمس أعجبت به ولأنها اكتشفت فجأة أنها لا تريد صداقة سيئة معه ، ووجدت نفسها تعتذر :

ـ أنا غالباً ما أكون غير جائعة حين أتناول وجبة كبيرة في المساء .

ـ لكنك لم تتناولي شيئاً ليلة أمس .

قررت إنهاء هذا الاستجواب ، فقالت :

ـ اسمع . .

لكنه قاطعها قبل أن تبدأ .

ـ أي نوع من الليل أمضيته؟

ردت بصوت مشاكس :

ـ إذا كان يجب أن تعرف ، فقد أمضيت ليلة جيدة! هل أبدو متعبة؟

ولعنت النزعة الأنثوية فيها التي أوصلتها إلى مثل هذا السؤال .

بعينيه الرماديتين ، راح يتأمل جبينها الصافي ولونها الخالي من العيب ، وردّ قائلاً :

ـ تبدين جميلة . . وتعرفين هذا .

قالت :

ـ إذاً ، لقد نمت جيداً .

وقررت أن هذا يكفي ، وارتشفت قهوتها وبدأت تجمع أشياءها ، وتقول :

ـ لقد تأخرت أكثر مما كنت أنوي هذا الصباح . يجب أن أذهب إلى مكتب الاستعلامات لأرى أية ترتيبات يمكن أن أقوم بها لزيارة أولانتابا نامبو .

كانت قد جمعت أغراضها قبل أن تودعه بأدب ، ورأته يحرك رأسه من جانب إلى آخر . . وسألت :

ـ لماذا تهز برأسك؟

قال ببرودة :

ـ لقد قمتِ بما يكفي من التجوال للتفرج على الآثار ، وسترتاحين .

حدقت بليس به . للحظات مصدومة ، لم تستطع تصديق ما سمعت . . وسألت :

ـ ماذا؟

وكان عقلها يحاول أن يستوعب قول هذا الرجل ، صديق صهرها ، الذي كان جريئاً فعلاً ، ليأمرها ، ويقرر عنها ما تستطيع فعله وما لا تستطيع!

ولذهولها ، لم يبدُ متأثراً أبداً بطلبها منه تكرار ما قاله . . . لكنه أهمل نظرتها إليه وكأنها لا تزال تريد تأكيد ما سمعت ، وقال :

ـ أنظر إليكِ، كلكِ عينان كبيرتان ووجه أبيض. ولا أعتقد..

قاطعته قبل أن يكمل:

ـ لطالما كنت كبيرة العينين شاحبة اللون!

يا لجرأة الرجل! من يظن نفسه ليقول لها: اليوم سترتاحين؟ وأكملت:

ـ لطالما..

قاطعها هو هذه المرة:

ـ.. كنت عنيدة.

صاحت:

ـ إطلاقاً! لقد قرأت الكثير عن البيرو قبل أن آتي إلى هنا.. وهناك عدد كبير من الأماكن أريد رؤيتها قبل أن...

قاطعها مرة أخرى بإزعاج:

ـ كم مضى عليك هنا حتى الآن؟

ـ آه.. تسعة.. لا عشرة أيام.

ـ وكم يوماً من هذه الأيام العشرة استرحت فيها؟

ولم يقنع كوين كوينتيرو بأن يقاطع كلامها، ولا أن يقاطع أفكارها، ليسألها هذا.

يا للسماء.. وكأن لديها وقتاً لتستريح وهناك الكثير لترى.. سترتاح حين تعود إلى انكلترا بحق السماء، وحاولت أن تقول:

ـ ليس هناك وقت.. الأمر..

ـ يجب أن نضع نصب أعيننا أنكِ منذ أربعةِ أشهرٍ كنتِ مريضةً بشكلٍ خطير، وتصارعين لأجل حياتك.

أدركتْ بليس أن صهرها قد أعطاه لمحة تفصيلية عنها.. وأكمل:

ـ أتظنين من الحكمة ألا تأخذي فرصة للراحة؟

جرّبت بليس وسيلة أخرى:

ـ اسمع كوين.

كانت تتساءل ما الذي تفعله وهي تجلس تجادل في قضية، وتفكيرها يقول إن لا شيء تجادل لأجله. لكن الطريقة اللطيفة التي جعلتها تستند فيها إليه يوم أمس حين حدثت لها نوبة السعال، وخزت ضميرها بسبب هذا الجدال الآن. وقالت مرة أخرى:

ـ اسمع.. أمامي بعد عشرة أيام كاملة قبل أن أعود إلى ليما لألحق برحلة العودة إلى انكلترا.. وأنا لا زلت لم أرَ نصف الأشياء التي يجب أن أراها قبل أن أعود.. يجب أن أذهب بعد إلى «تروجيلو» في الشمال.. ولقد وعدت نفسي بأن أزور المدينة البيضاء «اركوبيا» في الشمال، وفي الوقت ذاته لا يمكن أن أفكر أبداً أن أعود إلى انكلترا دون إلقاء نظرة على «نازكا» التي أعتقد أنها موجودة في مكان ما بين المكانين.

قال كوين، وعيناه ثابتتان يتأملها:

ـ يبدو أن لديك برنامجاً مكتملاً.

ابتسمت بليس.. لم تكن قد ذكرت أنها يجب أن تجد وقتاً لزيارة ابريث ودوم في جاهارا قبل عودتها إلى انكلترا كذلك.. واعترفت لنفسها، أنها تحس بالإرهاق.. وأن المعركة معه لم تساعدها.. لكنها ابتسمت، وقالت له:

ـ هكذا ترى، كوين، أنني لا أملك وقتاً أرفع فيه قدميَّ قبل العودة إلى بلادي.

ابتسم بدوره. وزاد إعجابها به وهو يقول:

ـ وأنتِ مصمِّمة على الذَّهاب إلى «اولانتايا تامبو» اليوم؟

وأحبت ابتسامته.. لكنها تجاهلت أنها لا تشعر باندفاع للتسلق الذي قرأت عنه لو ذهبت إلى هناك.

ـ بكل تأكيد.. وأنا أتطلع شوقاً للزيارة.

لعدة ثوانٍ، نظر كوين إليها، وكان تعبير وجهه لطيفاً كتعبير وجهها

حين تراجع إلى الوراء في كرسيه، وقال متهكماً:

ـ هذا أمر مؤسف.

أمالت رأسها وقالت:

ـ مؤسف؟ لا أظن أنني أفهم.

ـ اسمحي لي أن أفهمك.. أنت تصرين على زيارة «اولانتاياتامبو» وأنا.. سينوريتا، أصر على ألاّ تفعلي.

بدأت تثور:

ـ أنت تصر...؟

وفاتها أن تلاحظ أنها «السنيوريتا» مجدداً، وغضبت من نفسها لانجرارها السريع معه. حين أخذت نفساً عميقاً... شيء من غبار، الهواء، أو أي شيء آخر سَدَّ مؤخرة حنجرتها، واضطرت للسكوت كي تسعل.

لحسن الحظ كانت نوبة السعال قصيرة، لا تشبه أبداً النوبة التي تملكتها في «ماتشوبيتشو» بالأمس. لكن هذا كل ما كان كوين كوينتيرو بحاجة إليه.. دون أي أثر للابتسام.. بل مجرد قسوة لم تعجبها.. قال:

ـ وكما يبدو لي.. أنا على حق في إصراري.

همست بغضب:

ـ لا حق لك عليّ أبداً! كيف تجرؤ...؟

ـ طالما أنتِ في بلادي أنتِ تحت وصاية صهركِ، وصهر..

ـ أنا لم أسمع شيئاً قبل...

ـ ولقد مرر صهرك هذه الوصاية إليّ، و..

ـ مهلك لحظة..!

ولأن بليس كانت تعرف بوجود آخرين في قاعة الطعام، كانت تجد صعوبة في إبقاء صوتها منخفضاً.

لكن كوين كوينتيرو، وصيها المعين حديثاً، وغير المرغوب فيه

قطعاً، لم يعطِها لحظة.. بل بدلاً من هذا وبلهجة حادة معادية، لم يُضع وقتاً ليقول لها:

ـ أنتِ لستِ صحيحة الجسم مائة بالمائة.. أي شخص يمكن أن يرى هذا. لكن، وبما أنك تبدين راغبة وعنيدة، ترفضين أن تقبلي بنصيحتي للراحة..

نصيحة.. هل هذه نصيحة؟ بدت لها أمراً سلطوياً لا يقبل الجدال!

ـ... إذاً أنت لا تتركين لي سوى وسيلة عمل واحدة.

أرادت بليس أن ترد: «إفعل أسوأ ما عندك!».

لكن، ولمعرفتها به، لم تشك أبداً أنه قد يفعل.

رفعت رأسها لتسأل مشاكسة:

ـ وما يمكن أن يكون هذا؟

هز كتفيه:

ـ ليس لي إلا أن أتصل بصديقي القديم، وأعلمه بواقع أنك..

صاحت تقاطعه بغضب:

ـ هذا نوع من الإكراه!

الخنزير، الشيطاني، وخذلتها الكلمات وهي ترغي وتزبد. كوين كوينتيرو يعرف تماماً أنها ستفعل أي شيء بدلاً من إزعاج شهر عسل أختها... وبدا مستعداً بالفعل أن يتصل بجاهارا ليقول لهما رأيه إنها ليست بصحة جيدة.

سألها بوقاحة:

ـ إذاً؟

ردت في نفسها: أنت خنزير!

وغضبت حتى أنها أرادت أن تخدعه.. هزت كتفيها، وهي تغلي:

ـ إذاً؟ لماذا أهتم؟

ـ أتقولين إنك لا تهتمين.

ولم يبدُ مقتنعاً . . فهزت كتفيها مجدداً :

ـ طالما أنني خططت للزيارة ورؤية ايريث وصهري في أي يوم، أستطيع الذهاب غداً .

أخذ يتفرس بها وكأنه يريد تقرير شيء ما .

وأحست بليس بالقلق مجدداً . لكن كوين لم يواجهها لكشف خدعتها . . قال لها بتلك اللهجة اللطيفة :

ـ أخشى يا بليس . . أن تضطري إلى السفر مسافة طويلة لزيارة العروسين .

نظرت إليه بحدة . . بدا واثقاً من نفسه، ولم يعجبها هذا . . وسألت بقلق :

ـ أتعرف شيئاً لا أعرفه؟

رأت حاجباً يرتفع، ثم هز كتفيه مجدداً . وبدا غير مهتم وهو يقول :

ـ ما لم تتصلي بجاهارا كما فعلت أنا بالأمس، لن تعرفي أن دوم وشقيقتك غادرا البيرو إلى فرنسا باكراً هذا الصباح .

صاحت بليس :

ـ فرنسا! سافرا . . لكنهما قطعا جولتهما لأن جاهارا كانت تناديهما . ولقد عادا إلى جاهارا ليقضيا بقية شهر عسلهما، لأن . . .

وصمتت، لأنها فكرت فجأة بوالدة دوم الفرنسية الطويلة الأنيقة، التي قطعت القناة من فرنسا إلى انكلترا وإلى آش بارتون لحضور زواج ابنها . . وسألت بلهفة :

ـ هل والدة دوم مريضة؟

سألها كوين :

ـ هل قابلت مدام دوزارموزا؟

تجاهل سؤالها إذا كانت والدة دوم مريضة وأراد أن يعرف ما إذا كانت قابلتها .

وردت :

ـ لقد جاءت إلى عرس دوم وايريث .

وأدركت من استخدامه لقب «مدام» الفرنسي أنها تفضله على الاسم البيروني «سنيوريتا» وأنه قد قابلها هو كذلك .

ـ ألم ترغب ايريث أن تتكلم معي حين اتصلت ليلة أمس؟ أعتقد أنك قلت لدوم إننا نقيم في الفندق ذاته؟

ـ لم أتكلم مع شقيقتك، لكن حين قلت لدوم إنه كان لك يوم متعب، ونمتِ باكراً، ظن على ما يبدو أنه من الأفضل عدم إزعاجك .

رمت بليس نظرة غاضبة نحو كوين، وكانت على وشك أن تقول إنها ستكون سعيدة إذا لم يتدخل في شؤونها . ولو أنها استطاعت أن ترى أن ايريث كان لديها الكثير لتنجزه استعداداً للسفر إلى باريس .

سألت بذعر مفاجيء :

ـ وهل قلت لدوم إنني بخير؟ ألم تخبره عن السعال السخيف الذي أصابني بالأمس؟

رأت بليس، وهي تنظر، نظرة مفكرة على وجهه . . لم يعجبها ردُّه عليها .

ـ لم أقل شيئاً . . ساعتها .

وكان في لهجته صيغة تهديد مؤكدة :

ـ ماذا تعني ليس في ساعتها؟

كانت غرفة الطعام قد خلت مؤقتاً من الزبائن ما عداهما، لكن هذا لم يعد يزعجها . . فقد بدأ كوين كوينتيرو يفقدها صوابها .

ورد بنعومة :

ـ ألا زلت مصرة على زيارة «أولانتايا تامبو» اليوم؟

ولم تعد بليس تفكر في نفسها . . قالت وأسنانها تصطك :

ـ أيها الخنزير! أنت . .

وكادت أسماء أخرى مماثلة تنطلق منها لولا أن دماغها بدأ يستفيق، يدور ويتحرك.. ولم تكن قد اختارت كلماتها حين ردت باختصار:

ـ إفعل أسوأ ما لديك.. كوينتيرو.

للحظات لم يقل شيئاً، بل جلس يحدق بشرارات الغضب المتطايرة من العينين الخضراوين الكبيرتين. ثم قال بصوت منخفض ناعم، وعيناه لا تتركان وجهها:

ـ هل تحاولين أن تقولي لي شيئاً؟

ابتسمت بليس ابتسامة مزيفة حلوة، وقالت:

ـ أنت سنيور.. فقدت لتوك أي تهديد بالابتزاز تملكه ضدي.

لم يتكدّر.. ولم يرف له جفن.. وابتسم ابتسامة لم تعجبها أبداً:

ـ سامحيني سنيوريتا.. لكن هذه المرة، أنا الذي لم أفهم.

ولن تفهم الكثير.. فكرت بغضب، وقالت:

ـ اسمح لي أن أدعك تفهم.

وتغيرت لهجتها بحدة حين أضافت:

ـ مع عدم وجود ايريث ودوم في البيرو، ستضيع وقتك في الاتصال بجاهارا لتقول لهما أي شيء قد يسبب الخوف لأختي.

تراجعت بكرسيها إلى الوراء.. في دقيقة، تستطيع أن تجمع أشياءها ثانية، وتبدأ الرحلة إلى «أولانتايا تامبو»...

ترك كوين كوينتيرو لها عشر ثوانٍ من الدقيقة، ثم عادت الرنة الناعمة إلى صوته وهو يسأل بلطف:

ـ وهل تعتقدين أنني لا أعرف رقم هاتفهما في باريس؟

الخنزير اسم لائق جداً له.. بداية تساءلت ما إذا كان لديه حقاً رقم هاتف مدام دوزارموزا في فرنسا.. لكن هناك طرق لا حصر لها يستطيع فيها الحصول على الرقم، حتى ولو سافر الجميع إلى فرنسا.

أخيراً سألت، وقد عاش انتصارها حياة قصيرة، وبدأت تتذوق

طعم رماد الهزيمة:

ـ لكنك لن تتصل.. أليس كذلك؟

لم يقل: جربيني.. لكن الكلمة كانت في نظرته المتكبرة.. وبدأت بليس تكرهه، وتتساءل ماذا فعلت من مساوئ للشيطان ليعين نفسه وصياً على صحتها.. بهدوء وبلهجة مواسية قال:

ـ انظري إلى الأمر هكذا بليس.. لقد وعدت صهرك أن أعتني بك، وأنا أرى أنك..

قاطعته بحرارة:

ـ لا أحتاج إلى أحد يعتني بي!

لكنه تجاهلها وأكمل:

ـ أي نوع من الأصدقاء سأكون، لو أنني لحظة مغادرته البلاد، تركتك بائسة في كوزكو وذهبت إلى باراكاس؟

بالنسبة لها، أن تترك مهجورة بائسة كل ما تتمناه أية امرأة.. لكن وبشكل غريب، حين فتحت فمها لتقول له هذا.. اكتشفت أن فضولها جعلها تسأل:

ـ باراكاس؟

ـ إنها على الساحل.. حيث أسكن.

بأحاسيس مختلطة غريبة، استوعبت بليس واقع أنه ينوي أن يعود إلى بلدته وإلى منزله في باراكاس.. ووجدت أنه سيستمر في إدهاشها.

ـ لقد ذكرني دوم بالأمس، أنك لست قوية كما تظنين نفسك. وليس من الحكمة أن تتجولي بسرعة في المواقع الأثرية طوال الوقت.. كما كنت تفعلين.

ـ حقاً؟

وحاولت أن تكمل كلامها، لكنه تجاهلها مجدداً.

ـ أوليس لهذا السبب مرضت أصلاً؟ بإهمالك نفسك حين التقطت

البرد في الريح والطقس السيء. على أية حال، مع مشاركة دوم لزوجته في القلق بأنك قد تبالغين، اقترحت أن آخذك معي إلى «باراكاس» حيث يمكن أن تسترخي وتستعيدي نشاطك.

انفجرت بليس غاضبة قبل أن ينهي كلامه:

ـ لست ذاهبة إلى باراكاس معك!

ـ أعدك أنها ستعجبك.

ردت بحرارة:

ـ لا.. لن تعجبني.. لأنني لن أذهب!

وعادت إلى الرغبة في التهجم عليه، وبعد التفرس بها لثوانٍ مثيرة للأعصاب، ذكرها بالبديل.

ـ ألا تعتقدين أن دوم وايريث لديهما ما يكفي من قلق في الوقت الحاضر؟

صاحت:

ـ هذا ظلم!

لكن غضبها أخذ يبرد، وأحست أنها تفقد موقعها الدفاعي.. وسألت:

ـ لماذا يجب أن أذهب إلى.. إلى باراكاس؟ سأعطيك وعداً، ربما وأستطيع أن..

وصمتت.. وكانت على وشك أن تقول له ما يمكنه أن يفعل.. حين اختار تلك اللحظة بالذات، ليستخدم الفتنة التي ليس من حق أي رجل أن يمتلكها من وجهة نظرها.

ابتسم فجأة:

ـ بالطبع، إذا بقيت في صحة جيدة، وبدلاً من حرمان نفسك سأرتب لك بكل سرور، رحلة بالطائرة فوق «نازكا».

لو كان يعرف، فهو لن يتمكن من قول شيء يمكنه جذب ولفت

اهتمامها أكثر من هذا. فخطوط حدود «نازكا» هي خطوط ضخمة غامضة مرسومة على أرض صحراء صخرية ما بين «پالپا» و«نازكا» و«بورونا».. ولقد خُطت هذه الحدود على يد شعب مجهول قديم منذ أربعة أو خمسة آلاف سنة، وأفضل طريقة لرؤيتها، هو الطيران المنخفض فوقها في طائرة خفيفة.

بدأت تقول:

ـ أنا..

وبدأت تشعر بالإثارة للفكرة، ثم توقفت عن التفكير.. إنها لا تريد الذهاب.. أليس كذلك؟ سألت:

ـ وهل نازكا قريبة من حيث تعيش؟

فجأة أحست بالارتباك، فهي متأكدة أنها لا تريد الذهاب إلى هناك والإقامة في منزل كوين، إلا أنها، وفجأة، أحست بطنين الإثارة للفكرة.

رد:

ـ إنها أقرب إلى باراكاس من كوزكو.. لو سمحت لي بليس، سأذهب لأرتب مسألة رحلتنا بالطائرة إلى «پيسكو» وإذا أحببت أن توضبي حقيبتك خلال غيابي.. فقد نصل باراكاس وقت الغداء.

ـ لكنني لن..

لكنها كانت تتكلم في الهواء، فقد سار ليخرج من المطعم.

لخمس دقائق.. جلست حيث هي تماماً.. ثائرة. لن تذهب إلى باراكاس، ستكون ملعونة لو ذهبت، ولماذا تفعل على أية حال؟ لماذا..؟ إنها تحب شقيقتها كثيراً، وفعلت ما بوسعها كي لا تتطفل على شهر عسلها.. لكن واقع مرض والدة دوم المؤسف، دعا دوم وايريث لمغادرة جاهارا بسرعة للذهاب إليها.. وهذا أمر سيء.. لذا هل من العدل أن تدع كوين كوينتيرو يتصل بها في فرنسا ليبالغ في وصف حالة سعالها بالأمس وشحوبها اليوم؟ أمام ايريث وزوجها ما يكفي من محنة الآن،

وهي التي سهرت عليها يوم كانت مريضة؟

وعاد الصراع إلى نفسها وهي تغادر المطعم.. لكن، ولأنه يبدو مصمماً، ولأنها لن تجرؤ على دفعه لإجراء تلك المكالمة إلى فرنسا، لم تستطع أن ترى أي شيء آخر تفعله سوى الذهاب مع هذا الرجل اللعين.

وهي غاضبة منه، لم تذهب بليس إلى مكتب الاستعلام لتسأل عن ترتيبات السفر إلى «اولانتايا تامبو» بل ذهبت في الاتجاه المعاكس لتصعد إلى غرفتها.. أخرجت حقيبتها، ووضبت أشياءها، واضطرت لتذكير نفسها مرات ومرات، كلما توقفت لتفكر بالذي تفعله، بقول كوين: تبدين وكأن يومين في الفراش لن يضراك..

اللعنة عليه وعلى وعده لصهرها.. لأنها كانت مريضة سيعتني بها.. وها هو يبتزها لتقوم بشيء ليس على جدولها.. لكن صوتاً صغيراً داخل رأسها قال: هناك نازكا بالطبع.. لكنها تجاهلته، وأخرجت دفتر ملاحظاتها، وطلبت رقم أختها في جاهارا.

طلبت من الصوت الآخر في الهاتف:

ـ سنيورا دوزارموزا، بيرفاثور.

لكن أي أمل ضئيل بأن يكون كوين مخطئاً تلاشى حين سمعت من مدبرة المنزل، كما افترضت، كلمات إسبانية متدفقة، أحست بليس، بالرغم من عدم فهم كلمة منها، أنها شرح لمكان أختها في هذه اللحظات.. وكل ما استطاعت قوله بعد أن صمت الصوت من الناحية الأخرى «غرانسيا» وردت المرأة «غرانسيا».. وسمعت بليس صوت إقفال جهاز الهاتف بهدوء.

تنهدت.. هذا على ما يبدو نهاية الأمر.. ربما من الأفضل أن تكون ايريث قد غادرت على أية حال، من المؤكد أنها لا تريد أن تقلقها بالقول لها أن تكبح هذا الكلب البوليسي.. هكذا، وبدلاً من أن تؤكد لها أنها بخير، أدركت بليس أن لا جدوى من إجراء المكالمة على أية حال.

إذاً، سأذهب إلى باراكاس.. فكرت أنها لن تخلد إلى الفراش بضعة أيام، فهذا أمر مرفوض تماماً.. ووسط إعادة تنظيم جدولها، والتفكير بترتيب كل شيء مجدداً، دق الباب، فذهبت لتفتح.

كان كوين كوينتيرو يقف هناك، طويل قوي البنية.. حقيبته عند قدميه، وحقيبة أوراقه في يده. نظر مباشرة إلى عينيها الخضراوين، يسأل:

ـ أجاهزة؟

لم تكن بليس تحمل ضغينة، لكن، مرت لحظات وجدت فيها صعوبة قصوى وهي تقول لنفسها: «العبي! العبي! العبي لعبته» وابتلعت ريقها بصعوبة، ثم سألت:

ـ هل ستذهب الآن؟

هز رأسه، ودون كلمة أخرى، استدارت لتأخذ حقيبتها.

حمل لها الحقيبة حتى المصاعد، ثم حملها من المصعد. وهي تبلغ المكتب برغبتها في دفع فاتورتها، قال لها إنه دفع الحساب عنها وعنه.

وقال معلقاً وهي تمد يدها إلى محفظتها:

ـ تستطيعين أن تدفعي لي فيما بعد.

واضح أنه رجل يستعجل الرحيل.

ردت باختصار:

ـ سأحب هذا!

يا إلهي.. كم ستحب أن ترد الحساب لهذا الخنزير المبتز!

كان كوين كوينتيرو لبقاً جداً وهما ذاهبان إلى مطار كوزكو بالتاكسي. وما إن وصلا حتى صعدا طائرة خاصة مستأجرة لتأخذهما إلى بيسكو. واعترفت لحظتها بالتعب مرة أخرى. نظرت من النافذة والطائرة تنتظر تعليمات الإقلاع من برج المراقبة، وبينما هي لا تزال غاضبة لإجبار كوين لها على الذهاب معه، أدركت أنها لن تمانع في قضاء يوم

تستعيد فيه قوتها . . ولن تعترف له أبداً بهذا . . !

لم يطل الوقت بالطائرة للوصول إلى بيسكو، وبدأت بليس تدرك أن كوين ثري جداً ليستأجر طائرة، ورأت أنه ذو مركز حين رافقها إلى سيارة «ليموزين» طويلة لماعة كان قد أوقفها في موقف سيارات المطار بانتظار عودته .

نظرت بليس حولها بينما كان كوين يقود السيارة من منطقة المطار ويترك بيسكو خلفه، وسرعان ما وصلا إلى پاراكاس، ورأت على الفور الفارق البارز ما بين منطقة البحر والرمال الساحلية وبين المناطق الداخلية .

خمنت أنهما في ضواحي باراكاس حين وجّه سيارته إلى داخل بوابتين حديديتين ضخمتين فتحهما خادم خرج من المنزل مسرعاً . غادر كوين السيارة، وبعد حديث قصير مع الرجل، استدار إلى الصندوق وفتحه .

حمل الخادم الحقائب إلى الداخل، وجاء كوين ليفتح الباب لبليس التي نزلت على مضض .

قال كوين بلهجة رسمية :

ـ آمل أن تتمتعي بضيافتي .

نظرت إليه نظرة فيها الكثير من الكلام . . فهي لن تبقى هنا طويلاً .

* * *

٦ ـ متى عُرف السبب . . .

كان يوم الجمعة، والشمس تشع حين نهضت بليس من الفراش . جلست، وتفرّست بأثاث الغرفة الأنيقة التي أقامت فيها منذ يوم الثلاثاء . . وأدركت فجأة أنها في منزل كوين منذ ثلاثة أيام !

خرجت من السرير، وسارت إلى الحمام الخاص بالغرفة . . لم تكن تعتقد أنها كانت ستبقى هنا . كانت ستضرب برجليها الأرض وبحزم لو أن كوين كوينتيرو اقترح أن تبقى أكثر من ليلة واحدة .

لكن، بالطبع، لم يكن باستطاعتها الإنكار أنها كانت متعبة . ولم تكن على استعداد أن تعترف بهذا رغم نصيحة كوين لها بملازمة الفراش ليومين . . الآن بعد الاستحمام، ارتدت ثيابها، وشعرت بالنشاط الكامل، اعترفت بينها وبين نفسها أن فرصة الراحة من الجري في كل مكان، من متحف إلى متحف، ومن موقع إلى موقع، كانت ضرورية جداً .

كانت هوايتها منذ الصغر علم الآثار، ولا تظن أن علم الآثار قد تغير خلال الأيام الثلاثة الأخيرة . . فمنزل كوين فيه الكثير من الاشياء للمشاهدة والتأمل والاستمتاع .

كان منزلاً كبيراً، ويوم الجمعة ذاك، كانت بليس قد تعرفت على بعض العاملين في المنزل ومن يساعدون في إدارته . . هناك سنيورا غوميز، السيدة القصيرة البدينة، التي تعمل كمدبرة منزل . والخادم زوجها ستانبو

الذي حمل الحقائب إلى الداخل هو المساعد في كل شيء.. وامرأة شابة جميلة في التاسعة عشرة من عمرها اسمها ليا، كانت مخصّصة لرعاية بليس والاهتمام بشؤونها.

تركت بليس غرفة النوم، ترتدي فستاناً أخضر فاتحاً. وسارت في الممر، ثم استدارت يميناً إلى بهو يصل إلى غرفة الفطور.

وصلت متأخرة قليلاً. لكن كوين كان لا يزال يجلس إلى المائدة حين دخلت. رفع رأسه، وابتسم.. عرفت أنه لم يبقَ أثر للغضب في نفسها بسبب ابتزازه لها.

قالت بمرح:

ـ صباح الخير.

وجلست في مقعدها الخاص.. وصلت سنيورا غوميز مع قهوة طازجة وتوست، وحيتها. وردت بليس التحية ببوناس دياس مرحة.. صبت بليس لنفسها فنجان قهوة.. بينما عينا كوين كانتا ثابتتين عليها.

رفعت نظرها ونظرت إليه.. وتلاقت نظرة عينيها الواسعتين بنظرته الواثقة حيث ظل يتفرس بها.. وعلق قائلاً:

ـ لا داعي للسؤال كيف تبدين هذا الصباح.

ارتسمت ابتسامة على فمها، وللمرة الأولى لم تشعر بالانزعاج لأنه كان ينظر إليها، ليقيّم بنفسه صحتها.

ردت:

ـ لا داعي أبداً.

وأضافت:

ـ كما ترى.. أنا بصحة جيدة.

أخذت قطعة توست، ووضعت قليلاً من الزبدة على جانب طبقها.. فجأة خطر ببالها فكرة تدعو للانكماش.

رفعت نظرها لتقول:

ـ طبعاً، سأغادر اليوم!

الآن وقد قام بواجبه نحو صديقه دوم واعتنى بها، فلا بد أن يلمح بكلامه أنه استضافها مدة تكفي.

كانت على وشك أن تشكره لضيافته حين رأت أن تعبير وجهه تبدل من الدهشة، إلى الذهول. وسأل:

ـ وما الذي يدعوك للعجلة؟

ـ.. أنا لم أكن أنوي البقاء إلا لفترة قصيرة...

ـ وهل تعتبرين ثلاث ليالٍ تحت سقفي مدة طويلة؟

تغيرت ملامح وجهه. عندها عرفت بليس أنه انزعج، وحاولت تغيير الموضوع لإعادة المرح إليه.

قالت:

ـ ليس الأمر هكذا. لكن، فترة الراحة انتهت، لذا عليّ العودة. أشكرك على حسن استقبالك وضيافتك اللائقة.

تدخل كوين قائلاً:

ـ يا لك من مخلوقة حساسة.. هل أفهم من هذا أنك لم تعودي مستاءة من مجيئي بك إلى منزلي؟

ـ أنا..

ولم تعد تدري ما تقول. تلاشى غضبها، وثورتها ضده وضد أساليبه في الوصول إلى ما يريد، وهذا أمر مؤكد.

ـ ومن لا يمكن أن يستمتع بوجوده في مكان رائع كهذا؟

يكون المرء دون روح إذا لم يتمتع بمنزل كوين. ليس هذا فقط، بل بالموقع فقد كان يحيط به أشجار الأوكاليبتوس، النخل، والصنوبر، ويمتد البحر أمامه.

سألها كوين:

ـ هل تقولين إنك ترغبين في البقاء معي مدة أطول قليلاً؟

أبعدت نظرهاوهي تدرك بأن ما كان يعنيه ليس «ابقي معي» بل «ابقي في منزلي» لوقت أطول.

ـ أنا هنا في بلادك، لزيارة أختي . . ورؤية بعض من عجائب الآثار عندكم، التي قرأت عنها.

ـ لهذا السبب، وقد استرحت تماماً الآن، أقترح أن نذهب بالسيارة إلى «موزيو دو سيتيو» هذا الصباح.

أعجبتها الفكرة فسألت:

ـ وهل هناك متحف آثار بالقرب من هنا؟

ـ إنه متحف صغير . . ولكن لأنني قررت أنك قمت بما يكفي من التنقل، فإن متحفاً صغيراً سيكون جيداً للبداية من جديد.

منذ ثلاثة أيام، كانت بليس تعرف أنها كانت ستطبق على خناقه لأجل قوله: «قررت أنك . . .» لكن هذا كان منذ ثلاثة أيام، أما الآن، فإن غضبها تلاشى تماماً.

سألت:

ـ ألن تعمل اليوم؟

وتذكرت كيف أنه بالأمس وقبله، وبعد إعطائه تعليماته بالراحة، ترك منزله ليذهب إلى مصنعه، حيث مكتبه، على بعد نصف ساعة بالسيارة.

سأل:

ـ وهل تريدينني أن أعمل طوال الوقت؟!

فجأة بدا لها أن قلبها قد استدار دورة كاملة داخل صدرها . . وأكمل:

ـ في الواقع، لدي بضع مخابرات عمل أقوم بها . . وسنغادر إلى المتحف بعد ساعة.

عادت بليس إلى غرفتها بعد الفطور لتجد أن ليا رتبت غرفتها، وأن

الفراش قد رتب أيضاً، والسجاد مكنّس، ومسح الغبار، وأن الغرفة مرتبة تماماً.

بالرغم من اهتمامها بالذهاب إلى المتحف، لم يكن التفكير به، أو بما قد تراه هو الذي شغل بالها تلك اللحظات . . بل كان كوين وتلك الابتسامة الساحرة على ثغره. راحت تفتش عن سبب اهتمامها فلم تجد رداً منطقياً.

كان موزيو دوسيتيو، كما قال كوين صغيراً، لكن بليس أمضت فيه نصف ساعة رائعة تتجول متأملة الأعمال الخشبية الفنية التي استحوذت على فكرها واهتمامها، والصناعة الفخارية، والأقمشة، التي كانت تنتج في باراكاس حتى هذا القرن.

لم يلزمهما وقت طويل للوصول إلى المتحف . . ولو أنه بدا بعيداً. لكن، لصغر حجمه، نصف ساعة كانت تكفي. وشعرت بليس، أن كوين يقترح العودة إلى المنزل.

في طريق العودة قال معلقاً:

ـ مدبرة منزلي، قالت إنك تسبحين بعد ظهر كل يوم في بركة السباحة.

ـ لقد فهمت أنه ممنوع عليّ السباحة في البحر.

قال بلهجة عفوية:

ـ قد نغطس معاً بعد ظهر اليوم، إذا أردت أن تجربي.

ردت ببساطة:

ـ شكراً.

وافترقت عنه لتذهب إلى غرفتها وهي تشعر بإثارة غريبة تتملكها.

ماذا دهاها بحق السماء؟ نظرت في المرآة ولمحت خديها المحمرين وهي تغسل يديها.

بعد نصف ساعة من التحليل النفسي، أدركت خلاله أن إثارتها،

والخفقان في قلبها، ليس لهما علاقة بهواية علم الآثار، بل بأمور تتعلق بكوين كوينتيرو. . وأخذت بليس تفكرّ.

إنها. . ليست. . مغرمة به. . هل هي هكذا؟ وتساءلت بذعر. . لتجد أن الفكرة ذاتها مخيفة! ولأنها لم تغرم بأحد من قبل، لم يكن لديها دلائل، لكنها أحست بتوتر لمجردّ الفكرة.

عند مائدة الطعام، فيما بعد، سألها كوين فجأة حين لاحظ أنها لم تأكل من المائدة المحتوية على مختلف أنواع اللحوم والسلطة والخضار سوى كمية ضئيلة:

ـ هل أنت بخير تماماً بليس؟

ـ أنا بخير. . لكن، وكما ذكرت أنت مرة، أنا صغيرة الجسم. . إضافة إلى هذا فإنني سأسبح فيما بعد.

رأته يتأملها. . . لم يقل المزيد حول طعامها القليل، لكنه أخذ لنفسه سلطة، وسألها عن وجهة نظرها بالمتحف الذي زاراه.

بعد ساعتين من الغداء الخفيف، تركت بليس غرفتها بثوب السباحة وفوقه روب منشفة. . تجاهلت إغواء بركة السباحة، وسارت في الممر بين المروج ومساكب الزهور.

البحر يمتد إلى البعيد حتى الافق. تركت الممر، والمروج الخضراء وراءها، وأخذت تسير على الرمال. بالأمس كانت قد تمشت ضمن أراضي المنزل. . ورأت أن اليوم هو وقت جيد لتخلع نعليها، وتتجه نحو البناء الخشبي الذي هو منزل صيفي مفتوح على البحر.

كانت في المنزل الصيفي، تتطلع إلى المحيط الهادىء، تأمل ألا يكون كوين قد عنى ما قاله بأن عليها انتظاره قبل أن تغمس إصبعها في الماء. . فجأة سمعت صوتاً عرفت منه أنها ليست لوحدها.

قال كوين:

ـ إذاً، لهذا السبب لم تردي على قرعي بابك!

واستدار حول المنزل الصيفي، وخرج، ليقف معها على الأرضية المرصوفة بالسيراميك.

أحست بليس بالخجل مرة أخرى. يا للسماء، كان كوين يرتدي بنطالاً وقميصاً رياضياً، على إحدى كتفيه منشفة. كان المكان واسعاً، لكنها وجدته الآن مع جسم كوين الطويل والقوي البنية، يكاد يخنقها.

قالت له بخفة:

ـ البحر يدعونا.

مشت بخطوات متمهلة أوصلتها إلى مستوى واحد معه. . مجرد الوقوف قريباً منه، سبب خفقان قلبها في صدرها. . وهذا ما أجبرها على التقدم إلى الأمام.

سارت على الرمال، وسار كوين إلى جانبها. أحست أنها أفضل حالاً من المكان الضيق في المنزل الصيفي. . نزعت روب المنشفة وهي تسير، ثم تركته على الرمال الجافة وسارت نحو الماء.

كانت سَباحة عالمية، وكانت تنفذ بضع ضربات دائرية بذراعيها حين مرّ قربها كوين سابحاً دون جهد.

وبينما كانت تنظر إليه لترى أين هو، اكتشفت أنه ينظر إليها، ليتأكد من مكان وجودها.

كانت بليس قد اعتقدت أنها تغلبت على غضبها منه ومن «رعايته» المشددة لها، واكتشفت فجأة أنها غاضبة جداً. . إنها ليست «معاقة» كي يراقبها طوال الوقت. . كما أنه ليس وصياً عليها، إنها امرأة، وهو رجل. . وجدت نفسها بحيرة. . تمتمت قائلة: «اللعنة!». وفي لحظة، وكأنما لتبتعد عن الأفكار التي لا تريدها ولا تحتاج إلى التفكير بها، أخذت تسبح بغضب كأنما تسابق حقيقة كانت تتملك بها.

لو كانت تفكر بوضوح لرأت أنها أحست بالإرهاق ونفذت قوتها الجسدية. فتوقفت، وابتلعت بعض الماء، ثم سعلت بضعف. . شعرت

أنها ستغرق، عندما وجدت نفسها مدعومة بذراعين القويتي تساعدانها.

بعد هذا، وعت وأدركت أن هاتين الذراعين القويتي العضلات، الملتفتين حولها، هما ذراعا كوين. كانت لا تزال مشوشة الفكر قليلاً، حين أدركت أنه يخوض معها الماء.. وفجأة، بدأت تشعر بساقيه على ساقيها.. وبصدره الواسع العاري، وبجسديهما قريبين يكادان يتلامسان.. وهي التي لم تشعر بالذعر من قبل، أحست بالذعر يهاجمها. ودون توقع، بدأت تشعر أنها تريد أن تكون أكثر قرباً. وكان يدور في ذهنها أن كوين يشعر مثلما تشعر!

وضعت يديها على صدره، في وقت كانت تركل بقدميها غريزياً، وتدفعه عنها. وكأنما شعر بخوفها، فقد تركها فجأة.

سبحت إلى الشاطىء، وأخذت تستعيد هدوءها، وهي متأكدة أنها لن تسبح في البحر مرة أخرى.

لم ينضم كوين إليها. التقطت الروب المنشفة ووضعته حول كتفيها.. وعادت عبر الممر الطويل إلى المنزل دون أن تتطلع خلفها.

بعد أن استحمت استعادت توازنها، لكنها لم تعرف السبب الذي جعل كوين يزعجهاولماذا اقترابه الجسدي يعطي أي دليل ولو صغير، على اهتمامها به.. جسدياً؟

جاءتها ليا بإبريق شاي وبعض السندويشات المقطعة إلى غرفتها، حوالى الساعة الخامسة. مع أنها كانت بحاجة للشاي، إلا أنها لم تكن جائعة.. خاصة إن وقت العشاء بعد نصف ساعة.

تملكتها رغبة بألا تغادر غرفتها. لكنها فكرت بعد دقائق أن كوين سيأتي ويدق بابها.. لهذا أسرعت ترتدي ثوباً مناسباً للعشاء.. فآخر شيء تريده هو مجيء كوين إلى غرفتها ليرى ما بها، إذا أعلنت أنها غير جائعة.. وكيف تقول له شيئاً تجد نفسها غير قادرة على تبريره؟

كان كوين في غرفة الطعام، حين انضمت إليه، بعد دقائق من وقتها

المعتاد.. وكانت لا تزال تشعر بالارتجاف. اضطرت إلى أخذ نفس عميق قبل أن تفتح الباب.. لاحظت أن عينيه عليها وهي تدخل. سرّها أن تجد شيئاً تثبت نظرها إليه، صينية فيها أنواع مختلفة من العصائر.

سألها:

ـ هل شفيت من سعال بعد الظهر؟

ناولها كوب شراب، صبه لها.

ردت متصلبة:

ـ تماماً.. شكراً لك.

تحركا نحو طاولة الطعام، وهي تفكر: كم كانت مضطربة حين تعلقت به في الماء!.. يا الله.. هل يفكر أنها معجبة به؟

أمام تلك الفكرة الرهيبة، لم تجد شيئاً تقوله.. كما لم يكن لها شهية للأكل.. ولو أنها حاولت جاهدة احتساء بعض الحساء، وأكل اللحم والخضار.

علق كوين قائلاً بعد انتهاء الطبق الأول والثاني، وخروج السنيورا غوميز بعد تقديم الطبق الأخير.

ـ هل فقدت شهيتك مجدداً؟

ـ ليس في يدي حيلة!

أسوأ وقت للطعام بالنسبة لها كان اليوم.. رأته غاضباً، وعرفت أن لهجتها الحادة لا تناسبه أبداً.

ـ لماذا ليس بيدك حيلة؟

ـ لأنني لا أستطيع.. جسدياً أناجيدة.. أؤكد لك!

ـ أنا مسرور لسماع هذا! حسن جداً، فأنا..

صمت قليلاً، ثم أكمل قائلاً:

ـ.. لا أستطيع سوى أن أفترض أن شيئاً حصل ليكدرك.

كما توقعت بليس، لم يطل به الوقت ليعرف. ولو أن لهجته كانت

أكثر لطفاً مما كانت، حين أشار برأسه نحو المحيط.

ـ لا زلت مرتجفة مما حصل هناك بعد الظهر؟

ـ لم أفكر لحظة أنني سأغرق.

كادت تتأوه عالياً، بعد أن أعطاها عذراً يغطي ارتباكها.

ـ آه.. لكن هذا له علاقة بخوفك الذي أحسست به وأنا أمسك بك.

صمت قليلاً ثم فجأة، تفوه بحدة بالغة قائلاً:

ـ أؤكد لك سنيوريتا.. إن غرضي الوحيد حين أمسكت بك كان مساعدتك.. وأنت لم تكوني يوماً تحت خطر أن تغتصبي.

لم تكن بليس واثقة أنها ستسمع ما سمعت. فهي لم تفكر بمثل هذا أبداً! لكن، لم يكن لها النية لتقديم عذرٍ آخرٍ.

لم تستطع أن تتركه يصدق أنها فكرت بشيء كهذا عنه، لكنها على الأقل تستطيع إبعاد اهتمامه بها.. ولأن نقص شهيتها يقلقه، فلماذا لا تقتل عصفورين بتعليق واحد.

ردت وكأنها تريد طمأنته:

ـ في هذه الحالة، هل لي بقطعة من فطيرة الجبن الشهية المنظر تلك؟

ذهبت بليس إلى الفراش تلك الليلة وهي تعي أن «الأمور» بينها وبين كوين ليست على ما يرام، دون معرفة ماذا يمكن عمله لتصحيح الأمور بينهما.

استيقظت في الصباح التالي وقد نامت منزعجة تلك الليلة. فهل سيعاملها كوين ببرودة لو قالت له إنها تريد أن تغادر؟

اتجهت إلى غرفة الفطور مصممة أن تكون مشرقة مبتهجة، مثلما هي مصممة أن تقول لكوين، مع الشكر، إنها ستغادر.. دخلت الغرفة، ابتسمت وقالت «صباح الخير». كان يتناول قهوته.

وضع الكوب من يده، ثم نظر إليها بهدوء، وهي تفتش عن

الكلمات المناسبة لتقول له إنها تنوي المغادرة قال:

ـ بوناس دياس بليس، اليوم، فكرت أن نذهب إلى «أيكا».

وتطاير تصميم بليس فجأة من النافذة.

سألت:

ـ أيكا؟

ـ أستطيع الشرح مطولاً.. لكنني سأختصر بالقول إن باراكاس تنتمي إلى مقاطعة بيسكو وإن الاثنين ينتميان إلى «أيكا».

وأكمل ممازحاً:

ـ إذا وعدتني بتناول العشاء كاملاً هذه الليلة.. سأعد أن آخذك إلى «موزيو ريجونال دو أيكا».

وعدت ضاحكة:

ـ سآكل كل شيء.

وكانت سعيدة إلى درجة أنها جنست إلى جانبه في سيارته وهما على الطريق العام، وقبل أن تتذكر تصميمها على المغادرة.

قررت المغادرة في الغد، وسلمت نفسها لمتعة وادي ايكا الغني بثماره المشهورة منذ مئات السنين والتي تعود إلى ما قبل الحضارة الكولومبية.

دخلا المتحف الأثري، وانكبت بليس تدرس السيراميك والأقمشة المعروفة.. أحست أنها ليست مستغرقة في دراستها كما كانت دائماً، وهي تتأمل أحست بكوين يقف قربها.

سأل وهما يغادران:

ـ ما رأيك بالمتحف؟

ردت بابتسامة:

ـ عظيم.

تناولا الغداء في فندق صغير في «أيكا» وشعرت بليس بالاسترخاء وهما يتحدثان.. سألها كوين عن بقية عائلتها في انكلترا، وحدثته عن

أبيها وزوجته وعن أختها من أبيها، وأحست أن لا بأس من طرح الأسئلة ذاتها عليه.

ـ هل لديك إخوة أو أخوات؟

ـ أخوان.. كلاهما متزوج وله أولاد..

صمت فجأة، وتمنت بليس لو أنها لم تطرح هذا السؤال.. فواضح أنه كان على وشك القول إنه لم يستطع الزواج من پالوما أوريجا، فلا رغبة له في أن يتزوج بغيرها.

أحست بليس أن الهواء الذي تتنشقه مليء بالتوتر، وأن كوين يتألم بسبب حبه الضائع، بدأت تشعر بألمه، وكأنه ألمها هي.

مرت رحلة العودة إلى پاراكاس ودون أحداث.. وعرفت بليس أن كوين مشغول حتى العمق بأفكاره التعيسة التي لا مكان لها فيها.

لم تشعر بالجوع وقت العشاء.. لكنها أجبرت نفسها على أن تأكل.. وراقبت كوين الذي أكل قليلاً. وذهبت إلى النوم تلك الليلة وهي في مزاج معكرٍ.

استفاقت بليس باكراً متأكدة أنها ستغادر اليوم.. رغم أن اليوم هو الأحد.. يوم ينسى فيه الناس أعمالهم.. كان لديها إحساس أن كوين لا فرق لديه بين الأحد والاثنين، إذا كان لديه عمل يقوم به. استحمت بسرعة وارتدت قميصاً وبنطلوناً، ولم تضع الوقت للاتجاه إلى غرفة الفطور.

كان من المهم لها أن ترى كوين قبل خروجه. أحست أن عليها أن تبلغه شكرها شخصياً.. واتجهت نحو غرفة الفطور وهي تعرف أن استضافته لها لفترة أسبوع، كافية، وسيكون متشوقاً لسماعها تقول إنها مغادرة.

ارتاحت لأخذ قرارها. لذلك كان من السخف، أن تشعر بألم بعادها عنه بعد هذا الصباح.. هذا أمر سخيف.

عينيها:

ـ هل نمت جيداً؟

ـ كنت مرتاحة جداً.

جلست وهي تتأمله حيث لاحظت أنه لا يرتدي ملابس العمل، بل قميصاً عادياً وبنطلوناً.

ـ في الواقع أنا بخير تماماً الآن.. ومليئة بالطاقة لدرجة أنني مستعدة لأي شيء..

وهي تقول «شكراً».. قاطعها قائلاً:

ـ عظيم.. وبما أنك الآن أفضل حالاً، هل ترغبين في رحلة إلى نازكا؟

ـ نازكا! خلت أنك نسيت؟

ـ وهل يمكن أن أنسى؟

ـ هل أنت واثق؟ لا أريد إشغالك عن عملك.

هذا يوم أحد.. رد قائلاً:

ـ واثق تماماً.. سنغادر في الساعة العاشرة.

لم يكن لدى بليس فكرة كم تبعد نازكا، لكن شيئاً من حماسها دفعها إلى مقابلة كوين والخروج معه بالسيارة حيث سألها:

ـ هل جئت بالكاميرا؟

ـ مليئة ومعي أفلام إضافية.

كانت مقتنعة تماماً أنهما سيتابعان الطريق إلى نازكا بالسيارة، لكن كوين دخل بالسيارة إلى حقل طيران في بيسكو.

سألت باستغراب:

ـ هل سنطير فوق خطوط نازكا من هنا مباشرة؟

ـ سنطير حتى نازكا.. ولقد رتبت أمر رحلتنا على شركة طيران تجارية فوق الخطوط.

أوقف كوين سيارته، ثم ذهب ليتحدث مع أحد الرسميين، ثم عاد إليها.. وأخذها إلى طائرة صغيرة خاصة.

دون انتظار، فتح الطائرة واستدار لمساعدتها على الصعود.. وسألت:

ـ هل يعرف الطيار أننا هنا؟

ضحك:

ـ أنت تتكلمين معه.

ساعدها كوين لتجلس، وأعطاها التعليمات لتربط حزام المقعد.

كان ذلك الصباح مليئاً بالإثارة. اتجه كوين إلى غرفة القيادة وأقلع.. ستبدو «آش بارتون» مملة جداً بالمقارنة مع هذا حين تعود إلى وطنها، ولو أنها لم تكن راغبة في التفكير بالعودة بعد.. أبعدت هذه الأفكار عن رأسها، واستسلمت للبهجة المكتملة لكونها هنا الآن.

ما إن أقلعا، حتى حطّا على المدرج. ونزل كوين وساعدها على النزول.

ثم سألها:

ـ أمستعدة؟

وعرفت أن سبب خفقان قلبها المدوي هو ما ستراه هناك.

قادها كوين إلى حيث تقف طائرة صغيرة بأربعة مقاعد.. كان الطيار هناك يتحدث إلى كوين.. وسرعان كانت بليس وكوين جالسين ومربوطين بحزام الأمان خلفه، ثم أدار الطائرة، لتنقلهم عبر المدرج القصير.

بالنسبة لبليس كانت رحلة العمر. كانت خطوط نازكا قد اكتشفت لأول مرة في أيامنا الحاضرة عام ١٩٢٧، ومنذ اكتشافها، درس الكثير من الناس عنها ووضعت الكثير من النظريات عن كيفية رسمها.

لم تكن بليس مهتمة بالنظريات في تلك اللحظات، مع وصول الطائرة تطلعت إلى الأرض الصحراوية الرمادية تحدد تلك الخطوط.

نادت كوين قائلة:

ـ ها هو النسر الأميركي «الكوندور»!

وأخذت تعمل على كاميرتها بينما كان الطيار ينخفض ويميل بالطائرة جانبياً لتمكينها من التقاط المشاهد جيداً.. حيث صورت الخطوط البارزة والضخمة.

ولمدة نصف ساعة راح الطيار يناور بالطائرة فوق الكثير من الاماكن الصحراوية، وأدار طائرته جانبياً وبدأ يتنقل من جهة إلى أخرى، بينما كانت بليس تلتقط أفضل الصور.

التقطت صوراً رائعة والفضل يعود لمهارات الطيار.. التقطت جمال العنكبوت الذي يقال إن طوله يبلغ خمسين قدماً، والسحلية، والحوت، والقرد.. وكلها أسماء مواقع على الخط.

زادت إثارتها حين رأت الطير الطنان والتقطت له عدة صور.

تركوا الصحراء واتجهوا إلى الداخل حين أدركت أن هناك قبضة رجولية في يدها. على الفور، تركت ما في قبضتها، واتجهت عيناها إلى كوين.

ثم قالت معتذرة:

ـ أنا آسفة!

وعيناها لا تزالان تشعان مما كانت تشاهده.

قال بنعومة:

ـ لا تعتذري.

وابتسم بدوره.. وكان هذا كثيراً عليها، فأشاحت بوجهها بعيداً.

قبل مغادرة الطائرة، صافحت الطيار وشكرته.. وكانت لا تزال في مزاج مرحٍ حين بدلت الطائرة، وانطلق بها كوين نحو بيسكو.

حطت الطائرة في بيسكو، وسارا نحو سيارته. وهو يفتح لها الباب، نظر إلى وجهها مبتسماً، وسألها:

ـ هل هبطت إلى الأرض؟

ردت بسؤال:

ـ وهل عشت يوماً رائعاً كاليوم واختبرت تأثير السعادة!

كان كوين يقف بجانبها وينظر إليها.. وشعرت بضيق التنفس حين اقترب رأسه منها وأحست بفمه يلامس خدها بلطف.

أحست كأن قلبها قد توقف عن الخفقان تماماً. طبع قبلة على خدها، وتراجع.

لم تع بليس أين هي حين ابتعد عنها، وقال:

ـ لا داعي للسؤال إذا كنت استمتعت بنازكا.. وإذا كانت معدتك عادت إلى طبيعتها.. فما رأيك بالغداء في بيسكو؟

ضحكت واجابت:

ـ سأحب هذا.

ركبت السيارة، لكنها لم تكن تفكر بالغداء حين غادر كوين أرض المطار، بل كانت تفكر بقبلته الرقيقة اللطيفة.. الشيء الأحب إليها طوال حياتها.

أعادت استجماع شتات نفسها، وسبحت بالخيال. ثم توقف كوين قرب مطعم، دخلا وطلبا طعاماً.

بعد الغداء عادا إلى المنزل، لكنه لم يدخل معها.

ـ لدي التزامات عمل لبقية اليوم.. سأتركك لتحلمي بنازكا.

تركها مع حلمها وذهب.

أمضت بليس بعد الظهر بهدوء.. ثم استحمت وسرحت شعرها.. ومع أنها عرفت أن كوين ربما لن يأتي إلى العشاء، فقد ارتدت أجمل ثيابها.

لم يأت كوين للعشاء، لكنها كانت سعيدة بأن تتعشى لوحدها.. فلديها الكثير لتفكر به. قبلة كوين الجميلة الرقيقة على خدها أثارت اضطراباً في نفسها منذ تلك اللحظة.

بعد العشاء عادت إلى غرفتها واستغرقت في تفكير عميق. وراحت تواجه واقعاً كان عنادها قد أبعده عنها.

لهذا السبب أخذ اهتمامها بالآثار يتراجع.. لهذا اختلطت عواطفها حول كوين. هاهو المجرم! حتى نقص شهيتها سببه هذا المجرم.

كان ينظر إليها وجهاً لوجه منذ أيام.. وأدركت حذرها من التفكير بأنها قد تكون مغرمة بكوين.. لكنها لم تعد تستطيع إخفاء حقيقة ما تشعر به نحو كوين كوينتيرو لم يكن مجرد غرام عابر.. معرفتها بعمق مشاعرها نحوه، لم يعد بالإمكان كبتها.. فقد بدا واضحاً أنها وقعت في غرامه.

حبه لن يفيدها كثيراً. هو الذي أحبته، يحب امرأة أخرى.. يحب بالوما أوريجا!

* * *

٧ ـ أين العنوان. . . .

لم تنم بليس تلك الليلة. . كانت تشعر بالنعاس، لذا إستلقت واخذت قسطاً من الراحة. حين استيقظت شعرت بأنها غير مستعجلة لبدء يومها.

رفعت الأغطية عنها وجلست على حافة السرير، تريد رؤية كوين قبل ذهابه إلى مكتبه. . لكن حبّها له كان لا يزال جديداً، فلم تعرف كيف تتصرف.

رأت أن تغادر المنزل فوراً، فهي لن تتمكن من العيش وحيدة لو اكتشف عمق مشاعرها نحوه. . وسرعان ما اكتشفت، أن للحب طريقة فريدة في تجاوز العقبات. فمع أنها كانت مصممة على ترك منزل كوين، بدا لها أن الحب، لن يسمح لها بالمغادرة. .

غادرت سريرها وأخذت ثياباً نظيفة ودخلت الحمام، لتستحم وتستعد بشوقٍ لرؤية كوين، ورفضت كل فكرة لمغادرة منزله. . وفي الوقت عينه، فكرت أنه قد يكون قد ترك منزله وذهب إلى مكان عمله، عند مغادرتها غرفتها.

كان كوين قد ذهب حقاً إلى مكتبه عندما وصلت بليس غرفة الفطور. . ولم تعرف كيف ستمضي الساعات حتى حلول وقت العشاء.

دخلت السنيورا غوميز الغرفة تحمل القهوة والتوست.

ـ بوناس دياس سنيوريتا.

ـ بوناس دياس، غراتسيا سنيورا.

شعرت بالرغبة في السؤال إذا كان سيد المنزل قد ذهب إلى مكتبه، لكنها تمكنت من ردع نفسها عن ذلك.

أولاً، من المشكوك فيه إمكانها إفهام مدبرة المنزل ما تريد. والأمر الآخر، لا تريد أن يعلم أحد كيف أمضت الأربع والعشرين ساعة الماضية، بعيدة عن كوين!

لم تكن شهيتها للطعام قد تحسنت، مع هذا أخذت تقضم قطعة توست ومربى، مكتئبة الافكار. . وإذا كانت الساعات حتى وقت العشاء تبدو لها طويلة، فكيف ستستطيع العيش عندما تعود إلى انكلترا دون رؤية كوين؟

تركت غرفة الفطور، لتعود إلى غرفتها لتجد أن ليّا، الرشيقة النشيطة قد اهتمت بالغرفة ورتّبتها.

لم تجد شيئاً لتفعله، ولا حتى مسح الغبار. عندها، تناولت بليس كتاباً وخرجت مرة أخرى.

بعد ساعتين من الجلوس في المنزل الصيفي على الرمال، كتابها على ركبتيها، راحت تحدق في البحر.

كانت لا تزال في مكانها، عيناها على الماء. . . وقفزت عن الارض، عند دخول كوين عليها.

صاحت:

ـ أوه!

تسارعت ضربات قلبها الذي راح يتراقص في صدرها، وازداد احمرار وجهها.

ولحسن حظها، اختار كوين هذه اللحظة لينظر حيث كانت تنظر، وقال معلقاً:

ـ أنت بعيدة قليلاً عن المسار، إذا كنت تظنين أنك تتطلعين نحو

انكلترا . . هل اشتقت للحبيب؟

تجاهلت بليس ملاحظته، لكن كلمة الحبيب فاجأتها، يمكن أن تكون مع حبها المكتشف حديثاً، فائقة الحساسية بالنسبة لكوين . . لكن بدا لها أن التقاليد، تفرض عليها، وهي الضيفة، ألا تعترف باشتياقها لبلادها . وهذا ما وضعها في موقف حرج، فهي، ولأنها بكل تأكيد لا تشعر بالشوق لموطنها، كانت تشعر أنها لا تستطيع أن تقول له هذا في حال سألها لماذا كانت تحدق باكتئاب إلى البحر .

لكن بليس لم ترد على سؤاله أبداً، بل غيّرت الموضوع .

ـ ظننتك ذهبت إلى مكتبك .

وأحست بنبضات قلبها تتسارع حين قرر كوين الجلوس قربها على المقعد الخشبي .

سأل :

ـ هل هذا كتاب جيد؟

وأخذ منها نسخة كتاب «حضارة البيرو قبل التاريخ» الذي اشترته من أحد المتاحف التي زارتها . . وأكمل يسأل :

ـ هل أنت جادة دائماً؟

ـ وما الخطأ في الجدية؟

وقد بدا لها أنه يمازحها .

قال معلقاً :

ـ مسكين نيد جونز .

ذهلت لتذكره اسم نيد .

فسألت مستغربة :

ـ لماذا مسكين نيد جونز؟

تساءلت إذا كانت فهمت خطأ أن كوين يمازحها .

سأل بحدة :

ـ وهل علاقتك به علاقة حبيبين؟

ـ أنا لا أقول شيئاً من هذا! نيد وأنا صديقان، وصديقان فقط . . هذا كل شيء!

سأل بارتياب :

ـ أتقولين إنه ليس إلا صديقاً؟

مع كل حبها له ورغبتها في رؤيته، تمنّت أن تدوس على قدمه بقوة .

أخذت نفساً طويلاً . . وصمّمت على جعل كوين يجري لاهثاً باحثاً عن رد، لكن نظره إليها بصمت وقسوة، جعلها ترد، لإبعاد اهتمامه بها، قائلةً بغضب :

ـ لا . . إنه ليس ذلك النوع من الأصدقاء! ولا علاقة حميمة لي معه! ولن أفعل في أي وقت بالمستقبل وليس لدي رغبة بذلك!

هاك . . افعل ما شئت بهذه المعلومات!

وذهلت حين أكمل :

ـ أنت لم تعودي عذراء إذاً؟

ردت :

ـ ولماذا التأكيد؟

ثم أردف قائلاً :

ـ إذاً لا زلت عذراء . . وما من رجل . .

وقفت بليس، فوقع الكتاب عن حجرها إلى الأرض، لم تهتم بل تقدّمت بضع خطوات، لتقول بحدة :

ـ آسفة اذ خيّبت ظنك باعتبارك إياي فاسقة وأنا لست كذلك .

ثم أرادت الابتعاد عنه، لكنه أسرع وأمسك بكتفها . . أحست بعودة الحياة إليها، وبدأت تقشعر، وخشيت أن تخذلها قوتها فتقع . . وتستند إليه .

وكان صوت كوين قوياً وهو يقول:

ـ أنا لا أفكر بشيء من هذا، وأنت تعرفين ذلك. الأمر هو جمالك، ظننت أن...

ـ وما دخل جمالي في ذلك؟

كانت مسرورة بالحديث ما أعطاها القوة لتتخلّص من قبضته، وتستدير لمواجهته. كان ينظر إليها، لكنها شعرت بالغيظ مجدداً فقالت بحرارة معترضةً على تلميحاته، من أنها.. ساقطة.

ـ إما أن أكون قد قررت.. منذ زمن بعيد، أن بعض.. التجارب، يمكن أن تنتظر... إلى أن يحين الوقت فعلاً، ويكون مناسباً.. أو أنني لم أفعل! في حالتي هذه قررت الانتظار. وأنا أعترض بقوة على تلميحك بأنني كنت أتنقّل من فراش إلى آخر مع أي شخص أصادفه.

وصمتت قليلاً وهي لا تزال تنظر إليه بغضب حين مدّ يديه ليمسك ذراعيها.

أحسّت بليس بالضعف، ووجدت من المستحيل الخلاص من قبضته. ثم تمتم قائلاً:

ـ متى ألمحت إلى مثل هذا؟

ـ لقد فعلت! وأنا واثقة..

ثم صمتت وبدأت تضطرب متمنية أن تكون فهمت خطأ. واذا كان كذلك، لو تنشق الارض وتبتلعها.

أكمل كوين هامساً بلطف:

ـ أنا واثق أنك حساسة جداً.

نظرت بليس إليه، وهي تلوم نفسها على غبائها. إنها فعلاً حساسة، بسبب حبها له.. لم تستطع التفكير.. كانت لا تزال تحاول إيجاد مخرج لتتخلص من قبضته، وبدا مبتهجاً جداً، وسأل بسرور:

ـ هل ستظهرين لي كم أنت غفورة وتسمحين لي أن آخذك للغداء؟

الحب سيد متسلّط.. وجدت بليس نفسها تقاوم فتنته وتقول ببرودة:

ـ لست مضطراً لدعوتي!

أجاب قائلاً:

ـ أتظنين أنني قد آخذك إلى أي مكان لو لم أكن راغباً بذلك؟

امتلأ قلبها بالسعادة..

ثم أردف قائلاً: هل تخيبين أمل رجل ادعى الذهاب إلى جنازة جدته، ليتسنى له الوقت ليأخذك إلى الغداء؟

لم تستطع منع نفسها عن الضحك الذي بدأ يعتمر أساريرها.

ثم قالت وعلامات المرح بادية على وجهها:

ـ سأذهب لأغسل يديّ.

كان كوين ينظر إليها بحنان... جمدت دون حراك حين راح يقرّبها منه، وسأل:

ـ متى فكرت أنك جدية دائماً؟

دون انتظار ردها، أخذها بين ذراعيه وضمّها.

جلست إلى جانبه في سيارته.. وتذكرت ذلك العناق اللطيف الجميل.. إنه لم يعن شيئاً له بالطبع. أكانت تعرف بأمر بالوما أم لا، لكن، مجرد عناقه لها وبتلك الطريقة اللطيفة.. يعني أنه معجب بها!

كانا يدخلان بيسكو بالسيارة حين أدركت بليس أنها ستكون أفضل حالاً لو لم تفكر بذلك العناق. لا يجب أن تتخيل أشياء حول عناقه لها. لقد عانقها لأن هذا يسعده ولأنه مسرور برؤيتها تضحك.. هذا كل شيء.

بعد إيقاف السيارة، رافقها كوين إلى مطعم قريب، وسألها ماذا تحب أن تأكل، وقالت:

ـ قليلاً.. من أطباق البيرو.

قال بلطف:

ـ أذكر أنك كنت من قبل جسورة في طلب الطعام. ألا تشعرين بالجرأة الآن في فعل ذلك؟

ـ بلى! ولم لا؟

وأشاحت بعينيها خشية أن يقرأ فيهما الفرح الذي تشعر به كونها معه.

وبمساعدته، أحست بالروعة لاختياره الطعام ذاته، مما أظهر لها كم يجعل الحب من المرء عظيماً. طلبت شيئاً يدعى «پاپاس آلاهونكانيا». إنه أصفر اللون، له طعمٌ لذيذٌ.. وفي البيرو عشرات من أنواع البطاطس المختلفة، اختارت الأصغر منها.

سأل كوين بعد أن تذوقت ملعقتين من البطاطس الصفراء مع المرق المنكه:

ـ أتفضلين شيئاً مختلفاً؟

هزت رأسها بالنفي:

ـ إنني أستمتع به!

لقد كانت تستمتع بأكثر من الطعم المنكه بالجبن والبصل في طبقها، رغم حذرها لئلا يعرف هذا.

كان كوين مضيفاً فاتناً.. سرعان ما جعلها تتكلم في مواضيع لم تكن تدرك أن لها فيها وجهة نظر قوية، وهي برفقة أي رجل ممن تعرفهم.. وهذا ما سرّها. ومع اهتمامها بالآثار معظم الوقت، كانت تتساءل في مناسبات متفرقة، ما إذا كانت ستنقلب إلى نوع من الأشخاص لا يستطيع الكلام في شيء آخر. وشكرت كوين لاكتشافها أن لها وجهات نظر محدّدة في أمور أخرى، تستطيع أن تعبر عنها دون جهد.

لم تكن بليس راغبة في تناول الحلوى «البودنغ». لكن، لأنها متعطّشة للذكريات تحملها معها أكثر مما هي بحاجة للطعام، غيرت رأيها وطلبت

فطيرة محلاة بالفواكه.

مع وصول الفطيرة المحلاة سألت كوين:

ـ هل لديك وقت للهوايات؟

التقطت شوكتها.. وهي تنتظر معرفة كل شيء عنه. كانت لا تريده تكوين انطباع أنها تهتم به أكثر من اللازم.. ورفعت نظرها لتضيف:

ـ حين لا تكون تعمل.. أعني.

رد بخفة:

ـ أنا لا أعمل طوال الوقت.. فأنا أتزلج على الثلج، أبحر، و..

راح يتأمل عينيها الخضراوين، ما جعله ينسى ما يريد قوله.

ـ.. وبالطبع.. أنا أسافر كثيراً، وأستطيع مزج العمل بالمرح.

أرادت أن تقول: يجب أن تزورنا، لو مررت يوماً «بدورست». لكنها قالت بدلاً من ذلك:

ـ لهذه الفطيرة المحلاة طعم آخر.

واضح أنه لم يكن يفكر بها.. كان ينظر إليها بالطبع.. لكن أفكاره شردت نحو بالوما أوريجا التي كان يتزلج معها ويبحر.

سأل وهي تنهي الحلوى:

ـ المزيد من القهوة؟

ـ لن أستطيع مضغ أي شيء. ولو أكلت أي شيء، أنا متأكدة أنني سأنفجر.

ـ أنت مبهجة جداً.

تلاشت غيرتها فجأة.. وفاض كأس سعادتها.

ومع استعادة سعادتها سيطر عليها خوف من فضح نفسها.. نظرت إلى ساعتها، ثم نظرت إليه، وسألت غير مصدقة:

ـ هل هذا هو الوقت؟ نحن هنا منذ ثلاث ساعات تقريباً!

أحست بالذنب.. وأكملت:

ـ لا بد أنك تريد العودة إلى مكتبك!

رأت ابتسامة ترتسم على ثغره.. وقال ساخراً:

ـ لقد أعطوني فرصة لبقية اليوم.

زاد حبها له، وعرفت أنها بحاجة إلى بضع دقائق لوحدها، لتجمع شتات نفسها.

نظرت حولها، ورأت مكان غرفة السيدات وقالت متمتمة:

ـ أعذرني.

وقف وهي تغادر، وأحبته أكثر وهي تغادر لتستعيد رباطة جأشها.

كان كوين قد دفع الحساب عندما عادت، قادها إلى السيارة ويده تحت مرفقها.. ولم تجد ضيراً في أن تقول له:

ـ لقد تمتعت بهذا.. شكراً لك!

بدا مسروراً لشكرها له. ثم انصرف لإخراج السيارة من زحام سير مفاجيء، وبقيت بليس هادئة تنتظر.

أخرج كوين السيارة بجدارة من زحام السير، ثم أخذ الطريق الساحلي الذي يصل إلى منزله.. وحاولت بليس إبقاء مشاعر السعادة، بعدم التفكير كيف ستتمكن من ترك منزل كوين. هذا أمر مؤكد... بعد أربعة أيام، ستأخذ الطائرة التي ستعيدها إلى انكلترا.

الفكرة الأخيرة أخذت تزيدها إيلاماً.. وسرها أنهما في هذه اللحظة دخلا قرية صيادي سمك وبدا وكأن المراكب قد عادت لتوها.

قالت:

ـ هل نستطيع التوقف؟

أطاع كوين وتوقف، واستغرقت في التأمل لعشرين دقيقة.

كان يبدو أن الشاطيء يموج بالنشاط.. والناس يسيرون، بعضهم يحمل السمك والبعض الآخر لا. عائلات بأكملها كانت تعمل على سلال مليئة بصيد.. وبخبرة ومهارة كانت الأسماك تُفرَزُ، والعربات تُحمَّل..

والرجال والنساء والأولاد كل مشغول بعمل ما.

سمعت بليس كوين يتحدث مع عدة رجال. وفي مرحلة ما، ندمت لأنها لم تجلب معها الكاميرا لتسجيل هذا المنظر الرائع. ثم غيرت رأيها، وابتهجت قائلة: لم الكاميرا؟ ولي عينان، فلن أنسى ما شاهدت... وعلى أية حال لم يبدُ أن التقاط الصور، أمر مناسب.

سألت كوين:

ـ ما اسم هذه القرية؟

ـ سان اندريس.. تمتعت بهذا أيضاً.. أليس كذلك؟

ـ وهل ظهر عليّ هذا؟

كانت سان اندريس مليئة بالحياة، تجربة مختلفة تماماً عن المواقع الأثرية.

رد عليها:

ـ لقد ظهر على وجهك.. أنا أتعرف على أوجه جديدة فيك، في كل مرة.

صعدت بليس إلى السيارة، تتوهج إشراقاً لأن تعليقه الأخير بدا كالمديح. أدركت أنه ليس الوحيد الذي يتعرف على أوجه جديدة لها.. فهل تمكنت يوماً من التمتع بسعادة السير في قرية مثل سان اندريس، وقت رجوع الصيادين بصيدهم؟ أم أنها، وهي منشغلة تماماً بما يجري، كانت في الوقت عينه، تدرك أنها تتفرج على المناظر حولها مع الرجل الذي تحب؟

هذه الأفكار شغلتها حتى وصولها إلى المنزل. خرجت من السيارة وهي تظن أن زيارتها إلى «ماتشو بيتشو» مع كوين، كانت أفضل أيام حياتها. لكن، بالنسبة لها، كان هناك أكثر من شيء مميز في الساعات التي أمضتها اليوم برفقته.

وهما يدخلان المنزل سألها قائلاً:

ـ أمتعبة؟

لم تكن متعبة أبداً.. وقد أمضت اليوم كله مسترخية.

ـ متعبة؟ طبعاً لا... سأذهب إلى غرفتي لفترة.

مع أنها لا ترغب أن تكون إلا حيث يكون هو.. ابتسمت شاكرة، وتركته مسرعة.

لفترة قصيرة، عاشت بليس في عالم الأحلام مع الذكريات السعيدة... لقد ضحكت، وضحك بدوره، ولم يظهر بينهما ما يعكّر صفاءهما، خاصة بعد غضبها منه في المنزل الصيفي.

مع مرور الدقائق، أدركت بليس أن الوقت حان لتستحم وتغير ملابسها قبل العشاء، تحركت في رأسها أفكار ما كانت تريد أن تفكر بها... لا تريد أن يعرف كوين كم تحبه.

سألت نفسها وهي تصب الماء في المغطس.. كم مضى عليها هنا؟ أوه.. كيف يمضي الوقت! مع ذلك، كانت متأكدة أول مرة أن ليلة في منزل كوين هي كل ما ستتحمله. لكن ها هي الآن هنا.. غداً نهاية الاسبوع.. وهي تتمتع بإقامتها!

استحمت بليس، وارتدت بذلة البنطلون الحريرية حين فكرت بالآثار. غادرت غرفة النوم واتجهت إلى غرفة الطعام حيث صدمتها فكرة فظيعة.. هل لاحظ كوين فقدانها الاهتمام بحبها الكبير للآثار.. وهل تساءل عن السبب؟

دخل القاعة فسألها:

ـ هل تريدين عصيراً مختلطاً؟

ـ شكراً لك.

وجلست إلى المائدة تأمل من كل قلبها ألا يخمّن أنها اكتشفت في حياتها حباً أكبر من هوايتها.

أول طبق في العشاء قُدم، واستُهلِكَ دون كلام كثير.. في منتصف

الطبق الثاني صمّمت أن تقول لكوين إنها تريد الطيران إلى اريكوبيا غداً.. لكنها خافت أن يعرض عليها أخذها إلى المطار مطلع الفجر.. وهي في غمرة التفكير قطع حبل أفكارها قائلاً:

ـ أنت هادئة جداً الليلة؟

ـ حقاً؟

ابتسمت، ثم قالت ممازحةً:

ـ هل أخبرك عن عملي كموظفة مكتبة؟

كادت تقع عن كرسيها حين قال متجهماً:

ـ أجل.

لم تعط كوين سوى خطوط بسيطة عن عملها.. ولم تستطع سوى أن تتساءل لماذا أصبحت شخصاً سخيفاً، حين اقترح كوين أن تلقي نظرة الى مكتبته التي قال إنها تحوي على مجلدات بمختلف اللغات.. ففي وقت لا يوجد شيء تحبه أكثر، أعلنت له أن لديها بعض الرسائل لنكتبها.. ولم تشعر أبداً بالامتنان لأن كرامتها أبت عليها إلقاء نظرة إلى المكتبة وهو معها في غرفة واحدة.

نامت مرتاحة تلك الليلة.. استيقظت في الصباح التالي وكان مزاجها يطالبها بالتمسك بكل فرصة تستطيع الوصول إليها لتكون برفقته.

وخوفاً من أن يغادر إلى مكتبه باكراً، استحمّت بسرعة، وارتدت ملابسها وسرّحت شعرها وربطته إلى الوراء، ثم خرجت مسرعة.

فتحت الباب لترى عيني كوين مركزتين على الباب، كأنه يتوقع وصول أحد.. ربما سنيورا غوميز مع القهوة.. ولأن رؤيته كانت فرحاً لها، ابتسمت وقالت:

ـ صباح الخير.

ولم تستطع منع اضطرابها.

سألها بحدة:

ـ هل أصبت ببرد؟

ـ هل شربت قهوتك؟

وأدركت أنها تبدو كبلهاء، جلست في مكانها المعتاد متمتمةً:

ـ لست مذنبة.

ونظرت إليه عبر الطاولة.. كم هو عزيز عليها..

قال لذهولها:

ـ إذاً لا سبب يمنع من إخراج إحدى المراكب إلى البحر.

كررت:

ـ تخرج مركباً إلى..

ـ وهل تصابين بدوار البحر في المراكب الآلية؟

ضحكت:

ـ ليس حسب علمي.

طبيعي أن كوين يملك العمل الذي يعمل فيه، ولا يحتاج إلى إذن من أحد للغياب.

ـ وهل سيصدقون حكاية «جنازة جدتك» مرة أخرى؟

وأحبته أكثر فأكثر حين همس ضاحكاً في أذنيها:

ـ هل قال لك أحد يوماً إن لك بنية جسدية رائعة.

ردت بخفة:

ـ لو أن هذا حدث، فقد فاتني سماعه.

ولم تستطع أن تصدق بأن السماء لطيفة معها هكذا!.. الأفضل لها أن تعود إلى الأرض:

ـ.. وهل سنخرج إلى البعيد؟

ـ ستحتاجين إلى كنزة صوف. سنلقي نظرة على جزر «بالاستاس».. ومن الأفضل أن تأخذي الكاميرا معك.

رأت بليس أن هذا كثير عليها. ماتشو بيتشو مع كوين كانت رائعة الإثارة، الزيارة إلى نازكا معه لا تصفها كلمات، بالأمس في بيسكو وسان اندريس، كان ممتازاً، واليوم.. اليوم كان من خارج هذا العالم!

سارت على طول المرسى الخشبي قرب تخشيبة القوارب، في وقت كان فيه كوين يناور لإخراج مركب تجاري صغير.. أمسك بيديها وهو يساعدها على الصعود، وصعدت لتقف إلى جانبه.. كانت قريبة منه لدرجة أنها شمت رائحته.. ولأنها احتاجت إلى السيطرة على نفسها تركت يديه، وتحركت مبتعدة عنه قليلاً.

وجدت نفسها مجدّداً تقف مرة أخرى إلى جانبه وهو يقود المركب إلى خارج ميناه الخاص.. بعد ذلك بوقت قصير، أدركت لماذا اقترح أن تأتي بالكاميرا.. هناك طيور بالمئات.. طيور في الهواء، على الصخور وعلى المرتفعات الصخرية الشاهقة، وفي كل مكان.

سألت متأثرة بالمناظر:

ـ هل هذه طيور «القاق»؟ أو أبو جراب؟

ـ إنها طيور القاق الاستوائية.. هل ترين الأنواع الحمراء السيقان.. هناك؟

لم تستطع بليس رؤيتها.. ثم قفز قلبها داخل صدرها حين اقترب كوين ووضع ذراعه حول كتفيها وأدارها، مشيراً إليها:

ـ هناك.

ردت مرتجفة:

ـ أوه.. أجـ.. أجل.

ولم تكن تدري كيف يمكن أن يبقى ثابتاً، بينما هي تشعر أنها تكاد تتحول إلى سائل.

أزال ذراعه عنها، وتناولت الكاميرا لتصوير كل طير يمر بها، آملة أن تحصل على صور ممتازة.

أطفأ كوين المحرك وهما يقتربان من غار صخري، وقال:

ـ اسمعي.

سمعت صوتاً غنائياً يشبه قول «أووو».

همست:

ـ ما هذا؟

ـ البعض يقول إنه صوت غناء الفقمة أو أسد البحر. لكن..

نظر إلى وجهها وهي تسأل:

ـ أسد البحر؟

وهي تنظر إليه خطرت ببالها فكرة مجنونة... قد يعانقها.. ونسيت تماماً ما كانا يتكلمان عنه حين تحولت عيناه إلى فمها ثم إلى عينيها مجدداً. فجأة أبعد نظره ليتطلع إلى المقدمة.. ولم يجد صعوبة في أن يتذكر ما كانا يتكلمان عنه:

ـ أترغبين في رؤية بعض أسود البحر؟

همست بليس، وهي تقول لكوين:

ـ هل رأيت يوماً شيئاً مثيراً مثل هذا؟

ظنت وهي تنظر إليه إن عينيه تقولان شيئاً لها.. وللحظات خفق قلبها بجنون للفكرة السخيفة التي راودتها بأن العينين الرماديتين كانتا تقولان لها: أنت! وبسرعة أدارت اهتمامها إلى البحر.. فالتفكير هذا لن يوصلها إلى شيء، لذا من الأفضل لها السيطرة على مخيلتها وعلى الفور.

كانا قد أمضيا في البحر ثلاث ساعات، والوقت يمضي كما بالأمس بالنسبة لبليس. وهما عائدان كانت تعتقد أن اليوم لا يمكن أن يخبىء عجائب أكثر من هذا، لكنها اكتشفت فجأة واحدة أخرى.

كانا يسيران قرب الشاطىء، ما بين صخر ورمال.. حين لمحت بليس محفورة ضخمة في منحدر عميق ظنته رمالاً.

صاحت:

ـ ما هذا؟

رد عليها:

ـ إنه «إل كانديلابرو».

أدركت، وقد أصبحا على مقربة منه، إنه بالفعل شكل متشعب ضخم، لم تستطع إبعاد نظرها عنه.

ـ كم عمره؟

وأدركت أن الذي تراه منقوش لا محفور في رمال ناعمة.

ـ النظريات تختلف.. لكن البعض يشير إلى أنه قد يكون على صلة بخطوط نازكا.

وعادت الرهبة إلى نفسها مجدداً، لتقول هامسة بعجب:

ـ لا!

ابتسم:

ـ أوه.. بلى.

تنهدت:

ـ يا للسماء!

خطر ببالها شيء.. وقد تجاوزا هذه البقعة في طريقهما إلى الخارج.. سألت:

ـ هل أخّرت رؤيتي لإل كانديلا برو عن قصد؟

ضحك وهو ينظر إلى عينيها، وقال ممازحاً:

ـ وهل يمكن أن أفعل شيئاً كهذا؟

ووقعت في حبه مجدداً.

تناولا الغداء وتأخرا مرة أخرى، وأمضت بليس ما تبقى من بعد الظهر في غرفتها تحاول المستحيل.. وفي الوقت عينه تحاول أن تعيد نفسها إلى الواقع مرة أخرى.. لا بد أن كوين معجب بها.. أليس كذلك؟ لا بد أنه فكر بترك منظر إل كانديلابرو الهائل إلى آخر الرحلة، ليزيد من

إثارتها وإعجابها.

وقت العشاء، بدأت بليس تفكر فيما إذا كان كوين معجب بها، لهذا دخلت غرفة الطعام متقلبة المزاج.. لكن الذوق أملى عليها تحيته برصانة.

رد عليها:

ـ مساء الخير.

وبدا هادئاً، أكثر من عادته، مشغول بأفكاره الخاصة طوال فترة وجبة الطعام، وكانت بليس تشعر أنه لا بد نادم على قطعه زمناً طويلاً من أيام عمله.

لم يدعُها تلك الليلة لإلقاء نظرة على مكتبته بعد العشاء، في وقت كانت قد قررت القبول لو دعاها.. وعادت إلى غرفتها مشغولة البال.

بعد نصف ساعة، كانت لا تزال قلقة للتغيير الذي طرأ على كوين.. فقد كان مختلفاً وقت الغداء، يتحدث براحة في أي موضوع يخطر بالبال. ومرت عشر دقائق أخرى حاولت خلالها إقناع نفسها أن السبب ليس كرهها شخصياً، بل كونه رجل أعمال لا بد أنه مشغول بما يشغل رجل الأعمال يومياً.

كانت تذكّر نفسها أن لديه عدة مصانع في ليما إضافة إلى عمله المحلي هنا، حين سمعت دقة واحدة حادة على الباب.. وتحركت كل أحاسيسها.

عرفت مقدماً أن الطارق ليس سنيورا غوميز، وليست ليّا.. وهي تحاول البقاء هادئة، تقدمت لتفتح الباب.

كان كوين يقف هناك. انتظرت أن يبرّر سبب وجوده، لكن حين لم يتكلم.. هبطت عليها أفظع الحقائق.

قالت مختنقة:

ـ أنا آسفة.

وأحست بالحرج، بالإذلال، وتمنت لو أنها بعيدة آلاف الأميال.. بسرعة أدارت له ظهرها خوفاً من أن تظهر بكاءها.

سأل:

ـ ماذا...؟

لكن الرسالة كانت مفهومة، ولو أنه لم يقل كلمة.. وابتعدت خطوات إلى داخل الغرفة.

لرعبها، وهي لا تزال تقاوم الدموع، سمعته يدخل الغرفة بعدها. قالت:

ـ سأوضب أشيائي الآن.

قال متعجباً:

ـ توضبين؟

ـ كان يجب أن أرحل منذ أيام.. لقد عنيت أن..

وصمتت، وكانت تجاهد بقوة لتسيطر على نفسها حين وقف كوين أمامها.. رفعت نظرها إليه لترى وجهه متجهماً أكثر من أية مرة رأته فيها.

قال، بكلمات تتناسب مع نظرته:

ـ عمّ تتحدثين بحق السماء؟

ـ أنا..

وبدا لها أن ليس لديه فكرة عما يدور في رأسها. فكررت:

ـ أنا.. ألم تأت لتطلب مني الرحيل؟

قال بعجب:

ـ الرحيل؟

قال هذا وعلى وجهه نظرة حيرة:

ـ أيتها الحساسة زيادة عن الحد!

وصمت... فجأة، وكأن الكلمات تخونه، أمسك بها وضمّها بين

ذراعيه.

كان عناقاً لطيفاً.. عناق عطاء.. لكن مع اشتداد ذراعيه حولها، كان هناك شيء آخر، لا تستطيع تحديده. كل ما عرفته لحظتها أن الفرح والارتياح غمراها. اعترفت وهي في حالة فائقة الحساسية، أنها قرأت كل شيء خطأ، وأن كوين لم يسأم من اقتطاعه وقت عمله للخروج معها، فهو لا يريدها أن ترحل.

تمتم وهو ينظر إلى عينيها الخضراوين الواسعتين المشرقتين:

ـ لقد أردت هذا طوال اليوم.

سألت باضطراب:

ـ حقاً؟

وأرادته أن يضمها مجدداً، وعرفت حين فعل، أنه يقرأ أفكارها والدعوة التي قدمتها له.

لكن العناق لم يعد يكفيها.. فقد نسيت أمر اللياقة وبدا لها أنها تحبه منذ زمن طويل، وأنها تريده وتحتاج للراحة بين ذراعيه.

ضمّها كوين بآهة صغيرة إلى صدره.. وأصبحت بليس في الجنة.. وهو يشدها إليه، التفت ذراعاها حوله تتعلق به.

اشتعلت نيران الشوق بينهما وهو يحضنها.. أوه.. كوين..

وأرادت أن تصرخ باسمه لكن نيران الحب كانت تلسعها. تعلقت به.. وذراعاها حول كتفيه، تبادله العناق..

تنعمت بالإحساس بيديه تمتدان شعرها، وبلمساته الرقيقة، وعرفت كيف يمكن أن تشعر في أحضان الرجل الذي تحبه.

تمتم:

ـ عزيزتي!

شهقت:

ـ كوين!

خبأت وجهها في عنقه. وقال:

ـ أنت فاتنة تماماً!

فتحت بليس عينيها، ورأت أنه لا ينظر إلى وجهها بل إلى جسمها.. واحمر وجهها بشدة.

وفي تلك اللحظة، رفع كوين نظره إلى وجهها. كيف له أن يعرف أن لونها الملتهب سببه، أنها لم تعرف رجلاً من قبل.. ارتفعت يداه لتمسكا ذراعيها، ورأت أنه يقاوم بجهد ليسيطر على نفسه.

وهي تنظر إليه كانت في حيرة مطلقة.. وسمعته يتفوه بكلمات لم تفهمها.. وابتعد عنها فجأة وكأن هناك حريقاً لسعه، وخرج من غرفتها راكضاً!

* * *

٨ ـ كذبة رجل

كانت الأفكار ما تزال في رأس بليس حين استيقظت فجراً، بعد ليلة حزينة يائسة.

جابهت سلسلة من المشاعر خلال ساعات أرقها ليلاً.. الأمل، الغيرة، اليأس والحرج.. لقد رغب بها كوين، مهما كان ما ترتاب فيه، فهي متأكدة من هذا، مع ذلك تركها.. لماذا؟

هل كانت متشوقة أكثر من اللازم؟ رجال مثله يفضلون تحقيق الانتصار.. أليس كذلك؟ فهل جعلت الأمور سهلة كثيراً عليه؟ أحست فجأة أنها أكثر حرجاً من أن تعيش مثل هذه الأفكار المذلة.. ووجدت أنها ميّالة للمزيد من تعذيب النفس حين تساءلت عما إذا كان كوين قد غير رأيه بسبب لهفتها، أو أن السبب كان بالوما أوريجا؟ هل فكر فجأة ببالوما، حبه الضائع، وأحس بالاشمئزاز القوي لأنه ليس مخلصاً لذلك الحب الذي يحمله لامرأة أخرى؟

عرفت بليس أن أية محاولة للعودة إلى النوم مستحيلة.. فتركت فراشها لتستحم، ولتتساءل، ماذا عنها؟ بالرغم من كل كلامها القاسي معه في السقيفة الصيفية، قررت منذ زمن الانتظار حتى يحين الوقت المناسب حقاً.. لم يكن لها القرار حين كانت بين ذراعي كوين.. لقد حدث هذا.. بطريقة ما.

تركت الحمام، متمنيةً لو تنسى هذا الموضوع. لكنها تألمت، لقد

نبذها كوين، وبعد الطريقة التي هجرها بها، لا تعرف كيف ستواجهه.

راودها الرد على هذا السؤال، ثم تلاشى من رأسها تماماً.. وهي تتقدم من طاولة الزينة لتمشط شعرها، لمحت شيئاً لم تلاحظه من قبل.. كان الكتاب الذي أوقعته منذ يومين في التخشيبة الصيفية.

عاد اللون الدافىء إلى وجنتيها بعد أن فهمت لماذا جاء كوين يقرع بابها ليلة أمس.. واضح أنه كان يتمشى قرب التخشيبة الصيفية، فوجد الكتاب.. وأي شيء طبيعي أكثر يجعله يأتي إليها؟

تأوهت حزينة... يا للسماء!... وهي غير قادرة على التفكير بأي شيء في تلك اللحظة، تناولت مجفف الشعر.. لتصفّف شعرها وتسرّحه.

كان شعرها جافاً لامعاً، ترتدي فستاناً نهارياً أخضر، ولم يبق سوى اثنتي عشرة دقيقة قبل وقت الفطور.

وبشجاعة أكثر تركت بليس غرفتها.. لن تختبىء.. وكيف يمكن لها أن تختبىء؟ كانت متألمة بحب كوين، لكن، واعتماداً على ما ترك لها من كبرياء، لم تكن تنوي أن تجعله يتساءل ويربط بين عدم ظهورها وما حدث آخر مرة كانت برفقته.

وصلت باب غرفة الفطور، وعرفت أن من المحتم أن تشعر بالألم في مرحلة من المراحل. كان هذا أمراً واضحاً.. أخذت نفساً طويلاً مهدئاً، وهي تأمل أن يكون تناول الفطور باكراً وخرج إلى مكتبه، وأدارت مقبض الباب.

لكن كوين لم يكن في مكتبه، بل كان يتناول فطوره. قال لها بأدب:

ـ صباح الخير.

أظهرت ابتسامة ناعمة وهي تجلس.. كانت ترتجف من الداخل، ورفعت رأسها مبتسمة لمدبرة المنزل وقالت: «بوناس دياس سنيورا» وسرّها وجود شخص ثالث حين لحقت بها السنيورا غوميز.

ردّت عليها مدبرة المنزل التحية، ووضعت أمامها القهوة والتوست ثم خرجت. خيّم الصمت على الغرفة.. مدّت يدها وتناولت قطعة توست، ثم اخذت فنجان القهوة وشربته على مهل.

إذاً.. هذه هي اللحظة.. لتتحدّث من رحيلها وعودتها إلى انكلترا.

ـ أنا..

وهي تتكلم اكتشفت أن كوين كان يقول شيئاً، فاعتذرت قائلة:

ـ أنا آسفة..

استمعت له يقول:

ـ كنت على وشك أن أعلق على موضوع خرائب الأنكا في «تامبو كولورادو».

قالت:

ـ أوه!

ـ أعتقد أن الجداريات هناك مذهلة تماماً.

فقالت:

ـ هل هذا صحيح؟ وكم تبعد من هنا؟

ـ حوالى الثلاثين ميلاً.. هل ترغبين برؤيتها؟

أومأت بالنفي! لكنها سألت مستدركة:

ـ متى؟

كان في نيتها أن تقول له إنها راحلة، خلال ساعتين.

نظر إلى ساعته ثم قال:

ـ هذا الصباح.. بعد ساعة من الآن.

ـ وعملك؟

ـ عملي؟

أوه.. النجدة! فليساعدني أحد!

ـ لست مضطراً لأن تأخذني..

قاطعها وقال:

ـ لكنني أريد هذا.

وبدا جاداً.

ترددت بليس، لكنها وجدت نفسها تقبل شاكرة.

عادت إلى غرفتها، وكلمة كوين «أريد ذلك» ترن في أذنيها. بالأمس أراد معانقتها طوال اليوم، هكذا قال، ثم انقلب الأمر إلى كارثة! لعنت ذلك الضعف فيها، الذي يمنعها عن اتخاذ القرار، وهي تعرف أن كل ما تفعله هو دعوة للمزيد من الألم.

كان لديها الكثير من الوقت قبل أن تراه مجدداً، وراحت تلوم نفسها على عدم اتخاذ قرار بالعودة إلى انكلترا. هناك وقت طويل يكفي لإعادة النظر بقوله «أريد هذا».. أليس واضحاً أن السبب الوحيد لأخذها إلى هذا المكان المسمى «تامبو كولورادو» هو احترامه لصديقه.. صهرها؟ فرأى من واجبه أن يضع نفسه تحت تصرفها في غياب دوم وايريث.

هذه الفكرة جعلت بليس تغضب، وتمنت لو أنها رفضت دعوة كوين، فأكملت ما قررته قبل أن تنزل لتناول الفطور. تركت غرفتها قبل الموعد المحدد بدقيقة سيئة المزاج.. صحيح أنه لم يطلب منها أن تقع في حبه.. ستكون حذرة جداً كي لا يعرف بحبها.

ذهبت بليس مع كوين في سيارته وبقيت صامتة. يجب ان تكون ممتنة لـه، وصممـت على عـدم جعلـه يـرى أي شيء خـارج عـن العـادي في تصرفها، وهو المعتاد على استجابة النساء له بعد أن يأسرهن بسحره.

اللعنة! أحبته كثيراً!

لم تكن زيارة «تامبو كولورادو» ناجحة.. كون الحب حاكماً مستبداً، وجدت بليس أن حبه لم يمنعها من معاداته في بعض الأوقات.. ولم يساعدها إدراكها أن أي دفء تخيلته وقت الفطور، كان مجرد خيال.. لا أكثر ولا أقل.

ولم يفته نقص حماستها للآثار . . وعرفت هذا حين سأل بحدة :

ـ هل رأيتِ كل ما ترغبين برؤيته؟

وأدركت أن حماسها يوم زيارة ماتشوبيتشو معه كان مختلفاً تماماً عن حماسها اليوم.

ردت باختصار :

ـ رأيت الكثير . . شكراً لك.

في طريق العودة إلى منزل كوين، كانا صامتين مثلما كانا في الذهاب . . ولم يكن لدى بليس أي شيء تريد قوله . .

كان وقت الغداء حين أوقف كوين الليموزين في طريق المنزل الداخلية . . وافترق عنها قائلاً :

ـ أراك في غرفة الطعام بعد عشر دقائق.

ذهبت إلى غرفتها لخمس دقائق. عرفت لماذا قال كوين ما قاله قبل أن تبتعد عنه. لم يقترح رؤيتها سريعاً في غرفة الطعام، إلا لأنه كمضيف، رأى من واجبه أن تتناول ثلاث وجبات في اليوم.

مرة أخرى وجدت نفسها مضطرّة لتذهب وتأكل . . ووجدت كوين قد سبقها. سألها بهدوء :

ـ هل آتيك بشيء تشربينه؟

ردت بلطف قائلة :

ـ لا . . شكراً لك.

وأدركت وهي تتناول غداءً ممتازاً بدا طعمه كطعم التبن في فمها، أن هذا كل الحديث بينهما وقت الطعام.

قبل تناول الحلوى، دخلت سنيورا غوميز إلى الغرفة مع رسالة لسيدها، ركزت بليس على حلواها حتى خرجت مدبرة المنزل، وخاطبها كوين ببرود قائلاً :

ـ هناك مشكلة صغيرة في المصنع . . لو عذرتني؟

ردت بابتسامة باردة مهذبة :

ـ طبعاً.

ووقف وهو يقول متردداً :

ـ ربما تحبين أن تأتي معي . . يمكنك إلقاء نظرة على المصنع؟

لو كانت دعوته أقل بروداً بقليل، لكانت قفزت تتمسك بالفرصة . . لأنها تريد أن تخزن كل شيء عنه . . كل تفصيل . . أين يقضي أيامه، تريد أن تتمكن من تصوره في مكان عمله . . لكن . .

ـ هذا لطف كبير منك، في الواقع . .

كانت تتكلم في الفراغ، فكوين كان قد خرج من الغرفة.

انتظرت إلى أن تأكدت من ابتعاده عن المنزل ثم تخلت عن رغبتها في أكل الحلوى. تركت المائدة، وتركت غرفة الطعام، لتعود إلى غرفتها، وهي تكاد تولول.

إنها لا تريده أن يلعب دور المضيف . . دور يجد فيه نفسه مضطراً لأن يبقى لتسليتها . . وتذمرت من هذا . . لن يحبها أبداً، فهو على ما يبدو ليس معجباً بها حتى . .

بعد الغد، وهو آخر يوم يمكنها البقاء فيه هنا . . عرفت أنه سيرقص فرحاً حين تذهب . . وعرفت أن رحيلها سيحطم قلبها . . ربما لهذا السبب هي مترددة في الرحيل.

كانت تحس بعدم الاستقرار . . . غسلت وجهها ويديها وغيرت ثيابها وارتدت قميصاً وبنطلوناً، وتبرّجت. تمنت لو تكون معه أينما ذهب. لقد يئست من حماقتها ووحدتها.

كانت قلقة، تشعر بأن دموعها ستتساقط، وتركت غرفتها لتبعد عنها الملل . . اجتازت الممرين، ووصلت إلى خارج غرفة الاستقبال . . فجأة أحست بأن فكرة الجلوس بهدوء، وتصفح مجلة أو كتاب، فكرة منفرة، فهي لا تستطيع أن تجلس بهدوء دون أن تفعل شيئاً.

بعد خمس دقائق، غادرت بليس المنزل، تتسكع على الشاطىء، تلعن قدرها الذي يضطرها للرحيل وهي التي يمكن أن تكون سعيدة هنا.

سارت مسافة بعيدة على الشاطىء، ثم استدارت لتعود من حيث أنت.. لكنها لم تكن تريد الدخول إلى المنزل، فاتجهت يميناً نحو المنزل الصيفي.

لم يمضِ على دخولها أكثر من دقيقة حتى استغرقت بالتفكير كيف أن كوين جاء منذ يومين ووجدها هنا، وعانقها بلطف. وكيف أوقعت كتابها، وأعاده كوين ليلة أمس.

كانت لا تزال محرجة مما حصل.. وعرفت أنها في الغد ستكون في الطائرة المتجهة إلى انكلترا. لم يبق لها سوى يومين للرحيل، هذا صحيح، ولكن لأنها لن تذهب إلى جاهارا فايريث ليست هناك، ولأن حماستها لرؤية «أولانتاياتامبو» أو أي مكان آخر، صارت من الماضي، فإن العودة إلى انكلترا، تبدو الأمر الأكيد.

أدركت أنها سوف تحتاج إلى مساعدة كوين لتحجز مكاناً إلى ليما.. وقررت أن تطلب عونه وقت العشاء هذه الليلة.. وفي انتظار ذلك، لا بد من توضيب حقيبة ثيابها.

تركت المنزل الصيفي.. ولاحظت أن ليّا المخلصة كانت تراقب كل تحركاتها.

ابتسمت ليّا وقالت:

ـ تي.. سنيوريتا!

وأشارت إلى غرفة الجلوس حيث كانت بليس تتناول الشاي بعد الظهر.

أحست بليس أنه من الفظاظة أن ترفض، وتأخير ربع ساعة لن يؤثر على توضيب حقيبتها.. شكرتها مبتسمة:

ـ غراتسيا ليّا.

جلست أمام الطاولة وصينية الشاي أمامها.. لكن روح التململ كانت لا تزال تتملكها.. صبت لنفسها كوباً من الشاي، ولم تستطع الجلوس دون حراك.. أخذت تتمشى تروح وتجيء وكأنها تنتظر أحداً. من الواضح أن كوين لم يعد بعد.. أوه.. ما زالت تفكر به؟ إنه يلحق بها، يستقر في رأسها أينما ذهبت.. هل يبتعد عن المنزل قصداً لأنها موجودة هناك؟ لم تجد سبباً لذلك. وحاولت جاهدة تركيز أفكارها على شيء آخر فلم تستطع.

احتست بعض الشاي.. ثم وجدت نفسها قرب جهاز الهاتف، فوضعت الكوب من يدها.. أبعدت كوين عن أفكارها، ورفعت السماعة، وركزت جاهدة على تذكر رقم هاتف أختها.

لن تكون ايريث هناك، هي تعرف ذلك. ولم تكن واثقة أنها تطلب الرقم الصحيح، لكنها كانت في حالة نفسية مضطربة، بحيث لا تهتم.

حضرت بليس نفسها لتقول بالإنكليزية أنا آسفة أخطأت الرقم، لكن الخط من الجهة الأخرى انفتح وقال صوت واثق:

ـ بونيو؟

كان هناك شيء مألوف في هذا الصوت فسألت:

ـ ايريث؟

وصُدِمَتْ لسماع صوت ايريث تتحدّث بالإنكليزية.

صاحت ضاحكة:

ـ أوه.. شكراً لله هذا أنت!

وبينما كانت بليس تتغلب على صدمتها لعودة أختها من فرنسا، تابعت ايريث:

ـ لقد رن جرس الهاتف وأنا أمر به، ومتوقعة أن تنال أذناي قصصاً من الإسبانية، التقطته.

ابتسمت بليس:

ـ هذه شجاعة منك.. مع أنني كما أعرفك، لن يطول بك الوقت لتتعلمي اللغة.

اجابت ايريث:

ـ هذا صحيح، في الواقع سأبدأ دروساً رسمية في الأسبوع المقبل.. كان دوم يعلمني جملة جديدة كل يوم.. وهو معلم صبور رائع.. إذاً، ماذا كنت تفعلين..

لم ترغب بليس أن تتحدث عن نفسها:

ـ وماذا عنك.. متى عدتما؟

ـ هل اتصلت من قبل ونحن مسافران؟ كنا قد ذهبنا إلى كوزكو..

ـ عنيت متى عدتما من فرنسا؟

ـ عم تتحدثين بليس؟ لم نسافر إلى فرنسا!

ـ لم تسافرا.. لكن.. ظننت..

وتلاشى صوتها.

ضحكت ايريث:

ـ يجب أن تنتبهي لعلم الآثار أختي الصغيرة.. أعتقد أنك لم تفكري، ولم تشاهدي، أو تقرأي عن شيء آخر منذ جئتِ إلى البيرو.. حتى إن الأمر اختلط عليك. كانت فرنسا على قائمة شهر عسلنا، لكننا عدنا إلى جاهارا باكراً.

تابعت كلامها بهدوء ونعومة قائلة:

ـ لكنك تعرفين هذا! فما الذي جعلك تظنين أننا سافرنا مرة أخرى؟ نحن لم نقضِ ليلة خارج جاهارا منذ عدنا!

كانت بليس تمر في وقت عصيب، فما استطاعت استيعاب ما تقوله أختها.. قالت بخفة:

ـ أنا.. طبعاً.. لا بد أنني مشوشة الرأس اليوم.

لا شيء واضح في رأسها..

ـ لقد خطر ببالي بطريقة ما أن والدة دوم كانت تتوقع منكم أن..

قاطعتها ايريث:

ـ فهمت نصف الحقيقة. إنها تتوقع سفرنا، لكن ليس قبل عيد ميلادها في تشرين الأول.

سألت بليس مترددة:

ـ إنها.. بخير.. كما أرجو؟

ـ لم يحصل أن مرضت يوماً طوال حياتها.. لقد اتصل بها دوم بالأمس. في الواقع، هي بصحة ممتازة.

تمتمت بليس بصوت ضعيف:

ـ هذا جيد.

واضطرت أن تصدق، ولو أن الأمر مستحيل، أن كوين كوينتيرو كذب عليها بخصوص سفر أختها وصهرها السريع إلى فرنسا لرؤية والدة دوم المريضة!

ـ إذاً.. ماذا كنت تفعلين؟

على الفور غيرت رأيها:

ـ لا! لا أريدك أن تخبريني عبر الهاتف.. سوف تخبريني شخصياً حين تأتين إلى هنا.. سوف تأتين لرؤيتنا، لا؟!

وكانت لهجتها لهجة من يتوقع سيباً وجيهاً في حال النفي والرفض.

سألت بليس، والضباب يملأ رأسها:

ـ ما رأيك بالغد؟

ـ سنلتقي بك في مطار كوزكو، أين أنت الآن؟

لم ترغب بليس بالكذب على أختها.. لم تكن واقعة في الحب من قبل. حتى ولو كان كوين يبدو خنزيراً من الدرجة الأولى، أو جرذاً قذراً، وكاذباً تافهاً، إلا أنها لحبه لها، سمعت نفسها تقول كاذبة:

ـ أنا قرب نازكا.

ـ كنت أعرف أنك لن تنسي نازكا!

ضحكت ايريث. فقالت بليس:

ـ سأتصل بك غداً حين أعرف في أية ساعة تصل طائرتي.

وضعت السماعة من يدها بهدوء وشعرت بذهول مطلق.

بقيت هكذا لدقائق، لم تتمكن من استيعاب ما هو ظاهر تماماً.. إذا لم تكن ايريث قد سافرت إلى فرنسا.. وإذا كانت والدة دوم بصحة ممتازة.. فكوين.. كاذب إذاً!

حين كان الرد يصل إلى النتيجة نفسها، مهما كانت الزاوية التي نظرت منها إلى المسألة، فإن كوين مؤكداً، كذب عليها حين قال إن ايريث ودوم قد غادرا بيرو إلى فرنسا. شعرت بالغضب يملأ كيانها.. ولم تكن يوماً غاضبة هكذا.. كوين شديد الازدراء بها بحيث يستطيع أن يقول لها أي شيء إذا كان يناسبه.

لكن، لماذا كان يختلق هذه الكذبة المشينة؟ سؤال أكبر من قدرتها على التفكير به وتعليله. لقد انزعجت من كذبها على ايريث.. ولكن ماذا عن كذبة كوين؟.. كذبته الوقحة التي لا يخجل منها؟ كان يعلم جيداً أن شقيقتها وصهرها ليس لديهما أية خطط قريبة لمغادرة جاهارا.

في تلك اللحظة تولت زمام أمرها.. واعترفت تماماً أنها ضعيفة، لكنها لن تكون هكذا بعد الآن.. ثم ركضت بأقصى سرعتها إلى غرفة نومها حيث جلست تبكي متأثرة مما حصل.

كانت تنوي أن تطلب تلك الليلة مساعدة كوين في حجز مكان لها على طائرة الغد.. زفرت ساخرة من نفسها، لا وحق الجحيم! ازداد سخطها.. لن تنتظر إلى الغد، بل الليلة، سترحل.. وعلى الفور!

سحبت حقيبة ثيابها من الخزانة الكبيرة في غرفتها، ورمتها على السرير وهي تفكر كيف سوف تُبلغ السنيورا غوميز برحيلها، بعد أن

تنهي توضيب أشيائها، وتطلب التاكسي.

كانت تضع اغراضها بغضب في الحقيبة، وظهرها إلى الباب.. لم تسمع أحداً يدخل، ولم تعرف أن رجلاً طويلاً قوي البنية، رمادي العينين، فتح بابها، ودخل ليقف يراقبها.

أخذت تتمتم بصمت.. اللعنة على كوين كوينتيرو.. اللعنة عليه.. لن تستطيع الانتظار لتنتهي منه.. وإذا لم تستطع الحصول على طائرة اليوم، فلسوف تقضي الليل في فندق في بيسكو بدلاً من قضاء ليلة أخرى تحت سقفه.. كيف يجرؤ؟ كم هو وقحٌ! من يظن نفسه؟

واستدارت، لتلمح الرجل الواقف قرب الباب.. تفاجأت وجمدت في مكانها! انه كوين.

قالت له بعنف وكراهية:

ـ شكراً لأنك قرعت الباب!

ولم تهتم لعدوانيته لكنه سارع للسيطرة على نفسه وقال وهو ينظر إليها:

ـ يبدو.. أنكِ.. على عجلة من أمرك.

ردت حانقة:

ـ بإمكانك قول هذا!

لقد كرهته كثيراً، ومجرد رؤيته أصبحت تثيرها.

ـ وهل تفكرين.. بالرحيل؟

ـ عشرة على عشرة لدقة ملاحظتك!

ولم تستطع تصديق أذنيها لقوله التالي:

ـ وماذا إن لم أدعك ترحلين؟

ـ يا لوقاحتك! أتجرؤ؟! كم أنت قاسٍ!

لم يعجبه هذا.. كما لاحظت من طريقة ضمّ يديه إلى بعضهما.. واستدارت لتأخذ شيئاً من الخزانة، وقد لفت نظرها لمعان الذكاء في

عينيه. إنه يحاول إيجاد مبرّرٍ لمزاجها وغضبها.

لكنها اضطرت للتوقف والنظر إليه مرة أخرى حين سأل بوقاحة:

ـ وكيف تظنين أنك ستصلين إلى ليما دون مساعدتي؟

لن تتحمل مثل هذه المعاملة من أحد، عندها قالت له بقساوةٍ:

ـ لو أنني ذاهبة إلى ليما، ما من شك عندي أبداً أنني لن أحتاج لمساعدتك.. لكنني..

ـ لست ذاهبة إلى ليما؟

ردت ببرود، لا تريده أن يعرف شيئاً عن خططها.

ـ لا.. لست ذاهبة! في الواقع.. سأذهب إلى كوزكو.

عرفت بليس، لحظة نطقها بكلمة «كوزكو»، أن كوين عرف كل شيء، بعد ثوانٍ من التحديق فيها سأل:

ـ كوزكو؟

قالت ببرود:

ـ ولأكون أكثر دقة.. إلى جاهارا.. فلدي أخت تعيش هناك.. ولقد اتصلت بها منذ قليل.

رأت عيناه تضيقان، لكنه لم يعط أي تلميح عن أفكاره.. كانت سيطرتها على لهجتها الباردة تتلاشى بسرعة، لكنها تمكنت من الردّ ساخرة:

ـ نظراً لمرض «حماتها» المفترض، عادت من فرنسا أبكر مما كنت أعتقد.

مرت ثوانٍ طويلة وبليس تنظر إليه بحدة وهو يبادلها النظرة بالمثل، بالرغم من أن تعابير وجهه لم تكن تفصح عن شيء.. كسر الصمت وقال:

ـ يبدو.. أن هناك.. بعض الإيضاحات.. عليّ تقديمها.

وكم ستكون شهماً لو فعلت!

بدأت تتوتر وازداد غضبها منه مجدداً، وأخذ الشرر يتطاير من عينيها فقالت بانفعالٍ:

ـ وما الذي يجعلك تظن أنني قد أهتم لإيضاحاتك؟

رد باختصار:

ـ لا سبب يجعلك مهتمة.. لكنك لن تذهبي إلى أي مكان، صدقيني، قبل أن تسمعي ما سأقول!

واستعدت بليس لتقول له رأيها بما قاله، ولو أن في رنة صوته نغمة لا يمكن تجاهلها.. ثم اكتشفت أنها تأخرت في الجدال حين تابع أوامره، بكل كبرياء:

ـ سأكون ممتناً سنيوريتا، لو انضممت إليّ في غرفة الجلوس.

ثم استدار وخرج، وحدقت بليس إليه غير مصدقة.. وهي تتساءل كيف أنها على ما يبدو، هي التي أصبحت فجأة مخطئة!

* * *

٩ ـ المفاجأة المذهلة

حدقت بليس برهة في مدخل الباب الفارغ، وكانت متأكدة أنها ستراه في الجحيم أولاً، قبل أن تخطو خطوة واحدة لتجعله «ممتناً لانضمامها إليه في غرفة الجلوس».

أخذت ترغي وتزبد ضد جرأته.. إنه يجعل الأمر يبدو وكأنها هي المخطئة، في الوقت الذي كان هو الكاذب والوقح منذ زمن بعيد، وعلى الأرجح قبل كوزكو. وتذكرت أنهما كانا في كوزكو حين أخبرها تلك الكذبة الشنيعة عن سفر أختها وصهرها المتسرع إلى فرنسا.

مر الوقت، دون أن تهدأ.. لكنها فكرّت أن لا تمانع برؤية السنيور الكاذب كوين كوينتيرو لخمس دقائق، كي تقول له من هو بنظرها.. وتعرف أنه المخطىء!

الحقير الخسيس! هل يظنها حمقاء؟ لماذا فعل هذا، لم تدرك السبب.. لكنها تشك في وجود أي تفسير يمكن أن يبرر فعلته. وانقطعت أفكارها وهي تتذكر كيف قال وعلى مضض: «أمامي بعض الشرح.. أقدمه» وخطت بضع خطوات طوعية نحو الباب.

ثم توقفت.. أمر غريب أن يكون الشيطان المتكبر على استعداد أن يشرح شيئاً.. وتقدمت خطوات أخرى أوصلتها إلى الباب.

أوه.. فليذهب إلى الجحيم.. وأحست بتوتر مفاجىء، مع أنها كانت متأكدة بالرغم من قوله «لست ذاهبة إلى أي مكان قبل أن تسمعي

ما سأقول» أنه لن يستطيع حجزها في منزله بالقوة. وتسارعت خطواتها، متجهة نحو غرفة الجلوس.

كان واقفاً يراقب الباب حين وصلت.. وظنت للحظة أنه متوتر.. ثم تخلت عن الفكرة بسرعة، وأدركت أنها رغم إحساسها المفاجىء بالرجفة، كان هو بارداً، هادئاً.

قال بلهجة الأمر:

ـ أدخلي واجلسي.

وأشار إلى إحدى الأريكتين في الغرفة.

لم تر بليس سبباً يدعوها لشكره على الدعوة. تقدمت إلى الاريكة رافعة الرأس، وجلست بهدوء مستقيمة الظهر، ثم رفعت رأسها، ونظرت إلى الرجل الطويل الرمادي العينين الذي كان يتفرس بها بحذر.. وخاطبته:

ـ لو تستطيع أن تختصر.. فأنا أريد أن أرحل خلال عشر دقائق.

قال بحدة:

ـ ما سأقوله قد يستغرق وقتاً أطول من هذا!

ماذا يريد أن يقول ليستغرق أكثر من عشر دقائق؟ وأدركت أن كوين لم يعد معجباً بها، هذا إذا كان قد أعجب بها يوماً.. كيف يمكن لرجل أن يزدري امرأة إلى درجة الكذب عليها كما فعل.. وفي الوقت عينه يكون معجباً بها؟

ـ إذن.. ربما لن تمانع في أن تجلس أنت أيضاً، لأنني لا أريد أن أعاني من تصلب في العنق! أم أقف أنا؟

لا داعي لأن تقف.. لان كوين كان قد جلس على الأريكة المقابلة، وهو ينظر إليها نظرة تنم عن استيائه لتصرفها المتكبر.

استند إلى الوراء مسترخياً تماماً، وذراعه على ظهر الأريكة دون اكتراث.. وبعد لحظات من الصمت، نظر إليها.. قائلاً:

ـ أنا مدين لك باعتذار.

لا تعتقد أن هذا اعتذار لائق.. رغم لهجته الحادة وطبعه المتوتر، كانت بليس تعرف أن هذا ليس هو السبب. فهي تعرف أنه رجل لا يتذلل.. لذا فإن هذا الاعتذار الحاد والمباشر هو أفضل ما تحصل عليه.

قالت ساخرة:

ـ حسن جداً.. مرحى بك! وهل يجب أن أكون ممتنة لأنك تعترف أنك أنت المخطىء.. وليس أنا!

ادهشها بقوله:

ـ أنت لم تكوني يوماً مخطئة بليس.

أصبحت لهجته دافئة مما جعلها تضعف أمامه.

لكنها قالت غاضبة، وقد أزعجتها قدرته بتغيير لهجته على تحويلها إلى سخيفة:

ـ أنا ملاك! فلماذا الكذب إذن؟

ـ لأن..

وصمت.. كادت تقسم أنه بدا فعلاً متوتر الأعصاب، لكنها عرفت أنه كذب بسبب حالتها الصحية. ثم تابع:

ـ كنت منحرفة الصحة.. وبحاجة إلى الراحة.. فاذا عدلت لعرفت أن هذا صحيح.

ـ أنت أفضل من يتكلم عن الصدق!

لكن حين نظر إليها ببراءة دون تأثر، قالت بعدوانية:

ـ لم يكن هناك حاجة لأن تكذب.

ـ بل كان هناك حاجة لذلك.

ـ كيف؟

ـ لقد أرهقت نفسك ورفضت أن تعترفي بهذا. وبدا لي من المنطقي أن أهدد بإخبار شقيقتك أنك لست بصحة جيدة.

ـ لقد ابتززتني عاطفياً اذاً!

ـ وأنت قبلت بخداعي! قلت إنك ستذهبين لرؤية شقيقتك في اليوم التالي.

ـ وهذا ما كنت لا أريده.

لأول مرة يعترف أنه كان يخدعها.. واعترفت أنها فشلت في معرفة ما كان يريد.

ـ لهذا قلت لي إن ايريث ودوم سافرا إلى فرنسا.. كنت سأستريح لو أنني ذهبت إلى جاهارا اليوم أو اثنين.. ولكانت ايريث اهتمت بي.

ـ لكني.. لم أكن أرغب بذهابك الى جاهارا.

سألت بهدوء:

ـ لم تكن ترغب ولم؟

كانت تعرف سبب عدم بقائها في جاهارا مدة طويلة، فهي لا تريد التطفل وتعكير شهر عسل ايريث ودوم.. لكن هل كانت هذه أسباب كوين أيضاً! وتابعت قائلة:

ـ لماذا اذاً لم ترغب بذهابي؟

ـ كل شيء.. مجتمعاً.

هذا ليس مقنعاً.. حدقت به مجدداً، ودقات قلبها تتسارع.. نظر إليها بحنان، وأكمل:

ـ أردتك.. في منزلي.

أشاحت بليس نظرها عنه.. ما قاله كان نوعاً من التملك. مع ذلك تذكرت كيف أنها ليلة أمس، وقد كانت ملكه، تركها، لذا ومهما كانت مستاءة، كانت متأكدة أنه لم يأت بها إلى منزله ليوصلها إلى الفراش معه.

لكن، مع تذكرها للطريقة المتحمسة التي استجابت بها إليه، أحست بالألم. هل يفكر مثلها؟

www.elromancia.com

قالت بغضب:

ـ لقد أردتني في منزلك، وهددتني بالابتزاز لتنفذ ما تريد!.. وما ضايقك، هو أنك وقد قررت أن أستعيد عافيتي في منزلك، اكتشفت أنني لست السنيورينا المطيعة.. لذا فقد اردت إظهار سلطتك وتبيان رجوليتك.

ـ ليس للسلطة الرجولية سبب في هذا!

لكن بليس لم تكن على استعداد لتسمح لأحد بإيقافها:

ـ لقد كذبت حين أصبح من الواضح أن لا طريقة أخرى لتنفيذ ما تريد.

ولم تدرك أنها كانت تفقد سيطرتها على نفسها حين أكملت بغضب:

ـ لقد كنت تحقد على النساء منذ أنهت بالوما أوريجا علاقتها معك..

وتوقفت مرتاعة.. مصدومة مما قالته. أوه.. كيف يمكن أن تكون حمقاء هكذا لا تراعي مشاعره، بقسوة.. وبغيرة؟!

ـ أنا.. آسفة.. لم أكن أقصد.. لقد أغضبتني كثيراً.. لكن..

رد كوين متصلباً:

ـ لا تفكري بالاعتذار!

ومال إلى الأمام:

ـ قد أكون علقت قبلاً على طباعك المخيفة.. لكن، ولأصحح السجلات، لم تكن بالوما أوريجا هي التي أنهت علاقتها بي.

نظرت إليه مصدومة.. ثم سألت:

ـ وهل أبعدتها عنك؟

ـ ربما علي أن أقول هذا في صياغة مختلفة، ولو أن ما سأقوله سيعني الشيء ذاته.

ـ لكنك قلت لي..

ونسيت تماماً المسألة الأساسية، على ضوء ما قاله لها كوين.

وأكملت:

ـ قلت لي إنها أنهت علاقتها بك.

تحداها:

ـ ومتى قلت شيئاً كهذا؟

تذكرت بليس:

ـ لقد قلت.. إنكما اقتربتما من الخطوبة!

ثم عرفت أنها فهمت خطأ حين صحح لها كوين القوي الذاكرة.

ـ ما قلته بالفعل، أن واحداً منا، ولفترة ما، اعتقد أن الأمر سيصل إلى هذا.. وأنت بليس، قررت بنفسك أن المقصود هو أنا.

ارتاحت وبرقت عيناها، واستنتجت أنه قد لا يكون أحب بالوما.. على أية حال!

ـ لكن.. ألم تكن أنت؟

هز رأسه:

ـ كانت جدية.. أما أنا فلا.

بدا لبليس أن ثقلاً كبيراً نزل عن كتفيها.. كوين لم يكن أبداً يحب صديقته السابقة! وملأ الدفء والغبطة كيانها. لكن ليس هناك مجال لتجعله يرى تأثرها لسماعها هذه الأخبار.. قالت له بقسوة:

ـ خذ فتاة إلى فراشك.. وسترى أين سيوصلك هذا!

وتأوهت في داخلها لأنها وجهت أفكاره إلى ما جرى بينهما في غرفتها ليلة أمس.

لكنها كانت ممتنة جداً. وبالرغم من انزعاجه لم يعلق على صراحتها وقال:

ـ أنا لم أنم معها.. كانت تحتفظ بنفسها للزواج.

ابتلعت بليس لعابها بقوة. وأكمل:

ـ في الواقع، إن الأمور بيني وبين تلك السيدة لم تصل إلى هذا الحد

www.elromancia.com

من الحرارة.

تمتمت:

ـ أوه!

وانقلب داخلها رأساً على عقب لإدراكها أن كوين لم يكن يحب بالوما أوريجا أبداً.. كوين، وهو الرجل الذي يحتفظ بخصوصياته لنفسه، فتح قلبه ليقول لها ما يقوله الآن. وكأنما لهذا أهمية كبيرة بالنسبة إليه، أن تعرف كيف كانت الأمور بينهما.

لكنها سرعان ما صرفت النظر عن أية أفكار خيالية حين أكمل:

ـ بعد أن ودعت ذاك الاثنين، امرأة كانت تتحدث عن شروط إعلان الخطوبة، دون تشجيع حتى.. حملت الضغينة على كل النساء المستغلات.

صمت لحظة.. ثم أضاف:

ـ وكان هذا قبل دخولي إلى قاعة الطعام في فندقي ذلك اليوم بالذات في ليما، لأرى على الفور أجمل امرأة، نارية الشعر، ترمي بفتنتها على أحد رجال بلادي.. الأثرياء.

انفجرت بليس بحرارة:

ـ لمعلوماتك لم أكن أرمي عليه بفتنتي! ولم يكن ليهمني بشيء أن يكون السنيور..

وانزعجت لصعوبة تذكرها لاسم الرجل:

ـ إذا كان السنيور قيدلا لديه مال أم لا! وأنا أكره..

قاطعها على الفور، وقال:

ـ وكنت على حق أيضاً.

نظرت إليه وقد قاطعها ببرودة.. وأكمل بهدوء:

ـ لقد اكتشفت أن فتنتك.. طبيعية.

لم تعد بليس متأكدة مما تسمع.. فسحر كوين يأسرها، شيء

غريب.. قالت:

ـ ابن السنيور قيدلا الصغير كان في المستشفى في ليما، وبالرغم من تقدم صحة الصبي، إلا أن زوجته كانت منزعجة ما حملها على العزوف عن العشاء تلك الليلة.. كانت نائمة حين تركها..

قاطعها بلطف مجدداً، وقال:

ـ أنا واثق أن كل ما تقولينه صحيح.

ثم نظرت إلى حجرها ثم اردفت قائلة:

ـ حسن جداً.. لقد حقدت علي حتى قبل أن نتكلم معاً.. لقد رأيتك في اليوم التالي ولم تعرني التفاتةً!

ـ أولم تردي لي الجميل؟

تجاهلت قوله:

ـ أول مرة كلمتني فيها كان قولك ساخراً: لماذا لا أتطلع كيف أسير؟ في الواقع، كل مرة كنت أراك فيها، وقت الفطور أو غيره كان من الواضح جداً أنك حاقد علي.

رد كوين:

ـ كنت تبدين وكأنك تصرعين كل من ينظر إلى عينيك الخضراوين الجميلتين، واعترف أنني لم أكن في مزاج يحملني على تمرير نظرات لطيفة للمرأة التالية التي ألتقي بها.

سألت:

ـ أنا؟

ـ واضح أنني أدركت أنك قد تتسببين بالمشاكل حتى قبل أن أعرف من تكونين.

قاطعته:

ـ مشاكل؟

رد:

ـ أوه.. أجل.. ومغناج كذلك..

أنكرت ساخطة:

ـ لم أكن هكذا.

ـ أو هكذا ظننت في ذلك الوقت.

حاولت أن تعود إلى الهدوء:

ـ وغيرت رأيك فيما بعد؟

ـ طبعاً.. لكن هذا كان بعد مكالمة دوم دوراموزا الذي طلب مني أن أساعدك في بلاد لا تعرفينها.

ـ ولم تكن تعرف أنني قد أكون أنا حين وعدت بأخذي للعشاء؟

ـ لم يخطر هذا ببالي أبداً.. فذلك الفندق في ليما كبير بما يكفي كي لا أرى الآنسة كارتر الحلوة التي وصفها دوم.. وحين قال لي كم أنت متعلقة بهوايتك بعلم الآثار.. ولدت لدي فكرة أنك لا بد امرأة عالمة قبيحة ترتدي نظارات، لا تعني على الأرجح أن هناك عالماً خارج الأثريات.. ولقد كانت صدمة لي أن أكتشف أن المرأة التي أوقعت نصف رجال الفندق في هواها هي الآنسة كارتر، ذاتها التي جئت لآخذها إلى العشاء.

في تلك اللحظة، اكتشفت بليس أنها كانت مأخوذة بما يقول.. لكنها فتشت عن شيء من العدوانية، ووجدتها.

ـ تستأهل هذا!

ـ أوافقك على هذا.

وذهلت.. إلى أن تذكرت فجأة ما كانت تفعله في غرفة جلوسه، ولم تستطع أن تصدق بأنها سمحت له أن يبعدها عن المسألة قيد البحث.. وهي واثقة أنه فعل هذا عمداً.

قالت على الفور:

ـ يبدو أننا ابتعدنا عن موضوعنا!

لكن يبدو أن لكوين أفكار مختلفة:

ـ سنصل إلى سبب ما فعلت بعد لحظات.. ما أحاول الوصول إليه، هو أن تري، أنني مع تجربتي مع نساء مستعدات لبيع أرواحهن لأجل المال.. كنت أنت شيئاً مختلفاً.

ـ وهل تعني بهذا مديحاً؟

ونقسم أنها رأت في وجهه تعابير، تنمُّ عن عدم ثقة. وقال:

ـ كنت أعرف أنني سأشرح هذا بشكل سيء.

ـ تبدو وكأنك.. كنت تنوي دائماً أن تشرح؟

ـ صدقيني أنا لست كاذباً بطبيعتي.. لكنني حين..

وصمت.. وبدا أنه يقوم بجهد كبير. لم يكن هناك ما يدل إلى تردده حين تابع:

ـ بالعودة إلى البداية.. حين اتصل دوم بي، كان من الواضح أنه يحب عروسه كثيراً.. بحيث أن شكل النساء الأخريات ليس مسجلاً في وعيه. هكذا، ودون التفكير بذكر شعرك الأحمر أو لون بشرتك الرائع، الأمر الذي كان سيعطيني لمحة جيدة عمن تكون الآنسة كارتر.. أصر فقط على الكلام عن هوايتك، وحلاوة طبعك، وكيف أنك كنت مريضة منذ بضعة أشهر حتى كادوا يفقدونك، وأن زوجته، شقيقتك، لا تستطيع منع نفسها من القلق عليك.

قالت بشيء من الانزعاج:

ـ لم أرغب في أن يفسد القلق عليّ شهر عسلهما!

ـ سرعان ما أكد لها دوم أنك بخير.. كان يعرف أنني في ليما.. وأعطيته وعداً أن ما من مشكلة لن يكون حلها صعباً عليّ، لذا تناولت العشاء معك.

ـ وعرفت أنني لست بحاجة إلى مساعدتك.

ـ هكذا قلت لي يومها.

وصمت للحظات، ثم، وكأنما يختار كلماته، تابع:

ـ وهذا ما صدقته.. لكنه أمر لم يفسر لي لماذا وقد سمعتك تحضرين لسفرك إلى كوزكو، قمت بالسؤال عن أية رحلة حجزت، ودبرت أمر أن أكون على الطائرة ذاتها.

نظرت إليه:

ـ أنت.. أنا..

صدمها ما قاله، وتجمّد تفكيرها، ثم قالت:

ـ سألتك إذا كنت ذاهباً إلى كوزكو في عمل؟

تذكرت أنه قال بقسوة أن هذا ليس من شأنها، ثم سألت بذهول:

ـ وهل تقول إنك ذهبت إلى كوزكو لمجرد سماعك أنني ذاهبة إلى هناك؟

رد بهدوء:

ـ لم يكن لديّ إلا هذا السبب لركوب تلك الطائرة.

ـ لكن..

لم تستطع أن تستوعب.. وهي تبحث عن رد، وجدته فقالت:

ـ لأنك وعدت صهري..

ـ لقد آمنت أنني قمت بكل ما هو مطلوب مني في هذا الخصوص.

تسمرت عيناها بعينيه وهو يقول:

ـ كنت لا أزال أتساءل ماذا أفعل وأنا أغير كل جدول أعمالي بالذهاب إلى كوزكو حين أقلعت الطائرة.. كنت لا أزال غير عارف السبب حين سألتني ما إذا كان لي عمل في كوزكو.. ماذا أقول لك وأنا لا زلت أتساءل ماذا أفعل هناك؟

قالت بصوت هادىء:

ـ يا للسماء!

واستولى عليها ما جعلها محتارة، ونافدة الصبر لسماع المزيد،

وفقدت كل أمل بقرب رحيلها حين سألت:

ـ وهل وجدت.. سبب ركوبك تلك الطائرة؟

مرت عدة ثوان، درس فيها كوين تعابير وجهها المحيرة:

ـ أوه.. أجل.. لقد اقتربت من اكتشاف السبب، حين شاركتك طاولة العشاء. كانت تعابيرك حية وأنت تخبريني كيف أمضيت يومك.. عيناك لامعتان متعجبتان من كل ما رأيته ذلك اليوم.

أبعد نظره عنها قليلاً، ثم عاد ليكمل:

ـ بدأت أفتتن بك وقت العشاء تلك الليلة، وعرفت، حين قلت إنك تأملين بإلقاء نظرة على ماتشوبيتشو في اليوم التالي.. أنني.. أريد أن أكون معك هناك.

ـ صدقاً؟ ظننت.. لقد قلت.. فتنت؟

رده جعلها تنظر إليه مندهشةً مستغربةً:

ـ بدأت.. أقع.. تحت سحرك، عزيزتي.

جفت حنجرتها، وكل ما كانت قادرة على فعله هو ترداد الكلمات التي قالها:

ـ سحر.. سحري؟

ـ كان هذا قد بدأ قبل ذلك الوقت بالطبع، لكن حين عرفت أنه يجب أن أكون معك في ماتشو بيتشو في اليوم التالي، عرفت أنك السبب الرئيس لهذا، وليس المكان.

كادت تكرر سؤالها مجدداً «صدقاً».. لكن، مع خفقان قلبها وارتجافه داخل صدرها، قاومت سحره لتبقي ما لديها من هدوء.

ـ ظننت.. أوه.. أنك.. أنا واثقة..

وصمتت.. ثم وبشيء من الصعوبة، جمعت شجاعتها وتمكنت من متابعة كلامها:

ـ وهل تمتعت.. في مانشوبيتشو؟

ـ معك.. كان اكتشافاً جديداً.. في الواقع.. اكتشفت أشياء جديدة ذلك اليوم.

ـ أوه!

وأرادته أن يتابع فسألته:

ـ أي نوع من الاكتشافات؟

اخشوشن صوتها فجأة وهي تكمل سؤالها:

ـ متى؟

رفع نظره إليها:

ـ متى؟ حين ضممتك بين ذراعي وأنت مرهقة بعد نوبة السعال.. وما هو الاكتشاف؟ إنني أردت أن أحميك، أن أسهر عليك.. أن أهتم بك..

قالت بذهول مذعورة:

ـ أوه!

وأحست بالخوف.. لا تعرف السبب. دون إرادة وعفوياً، وقفت عن الأريكة، ومشت بضع خطوات مرتبكة، لكن كوين كان سريعاً فتحرك بسرعة، وترك الأريكة وأصبح خلفها حين توقفت.

سأل بلهفة، وقد خشن صوته:

ـ هل أخفتك بليس؟ ألا تريدين أن تعرفي أن..

وصمت، ثم وضع يديه على كتفيها، وأمسك بها بقوة.

تمتمت بصوت أجش:

ـ أنا..

وأرادت أن تقول له إنها مذهولة بما كان يقول وإنها أجل.. خافت...

ـ أنا.. أكان هذا.. سبب كذبك عليّ حول ايريث؟

اعترف:

ـ جزئياً.. ولو أنني على وجه أخص، لم أكن لأتحمل فكرة ابتعادك عني.

وفجأة جمدت في قبضته.. واشتدت يداه عليها.. لكنها لم تمانع.

لم تكن تعي أنها تتنفس.. غير واعية ما يدور حولها، باستثناء ما يذهل في قوله.

سألت:

ـ أردتني.. قريبة منك؟

قال بحزم:

ـ وإلى الأبد.

ثم، وببطء، ودونما مقاومة من بليس، تواجها.

نظرت بعينيها الخضراوين الكبيرتين إلى عينيه وقالت:

ـ إلى.. الأبد؟

ـ عزيزتي..

جعلها الدفء في نظرته تبتلع لعابها بصعوبة:

ـ هل استطعت إخفاء ما حصل لي تماماً وأنا أضمك بين ذراعي في مانشوبينشو؟ ألم تتكون لديك فكرة عن مدى حبي لك؟

دون وعي، تمسكت به بشدة!...

ـ أنت.. تحـ..؟

لا فائدة... لن تستطيع النطق بالكلمة.

لكن تمسكها به بدلاً من دفعه عنها، بدا شيئاً من التشجيع للرجل الذي أحاطها بذراعيه بلطف، وأخذ يراقب كل حركة من تعابير وجهها.

واعترف:

ـ لقد عرفت هذا، ذلك اليوم الرائع.

رفعت نظرها إليه، ولم تصدق ما يحدث.. لكنه كان يحدث..

www.elromancia.com

ولهذا جاهدت قدر استطاعتها لاستخدام ذكائها.. فحب كوين لها هو تحقيق لكل أحلامها. هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً؟!

ـ ولهذا السبب.. كنت غاضباً مني في اليوم التالي؟

ـ غاضب؟ كيف يمكنني أن أغضب منك.. يا صغيرتي؟

ـ كنت.. سيء الطبع، حين لم أرغب في تناول الفطور، ذلك اليوم في الفندق في كوزكو.

ـ كنت قلقاً عليك عزيزتي، لقد أرهقت نفسك وبدوت بصحة غير جيدة.

قالت ببرودة:

ـ كنت.. متسلطاً جداً!

أصحيح أنه يحبها؟ هل يستطيع أن يحبها؟ أه.. يا إلهي العزيز.. كم أريده.. وكثيراً!

ـ ما كان يجب أن أكون إلا هكذا؟ كنت مرهقة وتخططين للتسلق إلى «أولانتايانامبو» ذلك اليوم. وكان علي حمايتك.. من نفسك.

ـ ولهذا اخترعت القصة عن سفر أختي وصهري إلى فرنسا؟

طبع قبلة ناعمة على جبينها:

ـ لا أستطيع مقاومتك.. أتعرفين هذا؟

وهزت رأسها غير مبالية.. أجلسها على الأريكة وقال:

ـ أتسمحين لي بالجلوس قربك لأشرح لك كيف... لقد سمعت ما فعله صديقي دوم ليكسب حبه، لذا كنت متيقناً أن لا شيء في هذا العالم سيجعلني مغرماً ويضطرني إلى الوقوع في حبائل الحب. لكن، ما وجدته، هو أنني وخلال وقت قصير، وبعد أن رفضتِ بعناد إعطائي الوقت الذي أريده معك، لجأت إلى الكذب لأقنعك بعدم الابتعاد عني.

قالت، بما لها من جرأة:

ـ كان.. بإمكانك.. أن تأتي معي إلى جاهارا.. كذلك. دوم

صديقك.. وكان سوف..

ـ هذا صحيح بالطبع.. لكنك كنت قد كشفت أن ليس لديك النية بالتطفل على شهر عسلهما لمدة طويلة، وهذا يعني أنني كنت سأضطر إلى اللحاق بك إلى حيث تذهبين مجدداً، وأنا المصمم على أن أكون قريباً منك!

ثم سأل بلهفة:

ـ ألا ترين عزيزتي بليس، أنه كان من المهم لي ألا تعرفي أنني وقعت في حبك؟ فلو لحقت بك إلى كل مكان، ستبدأين بالتساؤل عن السبب، وما كنت لأتحمل هذا.

وابتسم ابتسامة جعلت قلبها ينتفض داخل صدرها.

ـ لذا، كان السبيل الوحيد لأبقيك قربي طوال الوقت، هو ما فعلته.

لقد عبر عن حبه.. ألم يفعل؟ وهي لم تتصور أنه قال وقعت في حبك.. أليس كذلك؟

ـ وكان هذا بأن تأخذني إلى منزلك.

ـ أردت أن أعتني بك.. بسبب حبي ويأسي لجأت إلى الكذب.. وفي الواقع، كنت قد نسيت أن والدة دوم تعيش في فرنسا، حتى سألتني ما إذا كانت مريضة. فبدا هذا مناسباً جداً لي.

ـ وطرت معك إلى باراكاس.

ـ ووقعت في حبك أكثر فأكثر مع مرور الأيام، وبدأت تراودني الكوابيس حول كيف سينتهي الأمر حين أعترف لك بما فعلت.. هل ستبادلينني قليلاً من الحب، هل ستكلمينني حين تعرفين أن زيارتك للبيرو توشك على النهاية، وأنني حرمتك من رؤية أختك التي تحبينها كثيراً؟

ساد جو من التوتر والصمت في الغرفة حين أمسك بيديها فجأة وسأل:

ـ هل أنا أخادع نفسي تماماً، بالظن أنك لست من الذين سينتقمون لكذبي، وأنك ستسمحين لي بالكشف عما في قلبي.. ما لم يكن في نفسك تجاهي شيء من الاهتمام بي؟

ابتلعت لعابها، وسألت بصوت أجش:

ـ وهل تحبني حقاً؟

ـ أكثر من حياتي.. وهل أنا بالنسبة لك مجرد رجل مرّ مثله في حياتك من قبل؟

نظرت بليس إليه، وعرفت أنه يشير إلى الطريقة التي استجابت فيها اليه ليلة أمس.. وأدركت أن لا فرصة لها في إخفاء مشاعرها نحوه.. ثم تابع:

ـ أرجوك بليس.. ألا يمكن أن تكشفي لي عما يعتمر في قلبك تجاهي؟

همست، وقد بدا لها أن الشكوك تعذبه:

ـ أنا أحب.. أحب..

ـ من؟

ـ أحبكَ.. أنتَ وحدكَ.

بقي كوين للحظات ينظر إليها وهو غير مصدّقٍ ما يسمع:

ـ هل أنت واثقة.. أنك تحبينني؟

ـ آه.. أجل. أنا واثقة.. أنا أحبك.

تفوه بالإسبانية ما لم تفهمه.. ثم توقفت عن الكلام بعد أن أخذها بين ذراعيه بلطف وحنان وشدها إلى قلبه.. وسأل:

ـ منذ متى؟

كانت تشعر بالسعادة وهي بين ذراعيه لكن حساسيتها نحوه، كانت تنبئها بما يريده منها.

سألت بخجل:

ـ متى عرفت.. أنني أحبك؟

وأحست بيديه تشدان عليها وهي تعترف:

ـ كان هذا منذ أيام، لكنني رفضت تصديقه.

تمتم وهو يمسّد شعرها:

ـ يا حبيبتي العنيدة.. تابعي.

ـ كنا في نازكا، وكان كل شيء مذهلاً.. لم أستطع السيطرة على دهشتي.. ثم، حين عدنا إلى بيسكو، عانقتني.. ومنذ تلك اللحظة لم أعد أستطيع التفكير بهوايتي أبداً.. وعرفت عندها أنني أحبك.

سألها:

ـ أي منذ يوم الأحد؟ لقد تحملتُ العذاب، والتردد في حبي لك.. وكنت تعرفين منذ يوم الأحد.

ردت بنعومة:

ـ إذا كان هذا يواسيك، فقد تعذبت أنا كذلك.

ـ لا! وهل عذبتك أنا؟

أجابت:

ـ حسب ظني.. أدركت أنني أحبك، لكنني ظننت أنك تحب بالوما أوريجا.

سألها بدهشة:

ـ وهل أحسست بالغَيرة؟

ردت بضعف:

ـ حسن... جداً!

وبدت خجولة، فضحك بأعلى صوته، وضمّها إليه مرة أخرى.

وتمتم قائلاً:

ـ لا داعي لغيرتكِ منها أو من أية امرأة أخرى. وأنا أعرف كم أن هذا الإحساس مؤلم.. أنا آسف. سامحيني على ما سبّبته لك ولو عن غير

قصدٍ.

ـ وهل عرفت الغيرة على أحدٍ؟

ـ عليكِ، وعليكِ وحدك. لم يكن لأية امرأة سلطة عليّ... أنت فقط، حبي الكبير.

ـ حقاً؟

ـ صدقيني.. إلى يومِ عرفتُكِ، لم أكن أعرف ما يسمى بالغيرة! وكم هي قاسية!

تعجّبت من معرفته لذلك الشيطان الشرس الغيرة، وضمها إليه مجدداً، فطوّقته بذراعيها واستمر العناق لدقائق.

كانت تدرك احمرار بشرتها، حين أبعدها عنه قليلاً وبلطف.

ـ إنك تصعبين الأمر عليّ في تذكري ثقة صهرك بي بالنسبة لاهتمامي بك.

وتسمرت عيناه على وجهها الزهري، ثم قال:

ـ والآن.. عمّ كنا نتحدث؟ آه.. أجل.. عن الغيرة.. طاعون الرجال..

ـ والنساء أيضاً.. لكن ممن كنت تغار؟

ـ من أي رجل يجرؤ على النظر إليك.. لقد اكتشفت أنني أحسست بأول طعنات الغيرة تلك الليلة التي تعشينا فيها في ليما.

انفرجت عيناها تنمّان عن رضىً عميقٍ:

ـ منذ ذلك الوقت؟

ازداد حبها له حين ابتسم وهز رأسه:

ـ طبعاً لم أعرف أنها الغيرة في ذلك الوقت. كان مجرد توتر من تصرفاتك وعبثك مع رجلين كادت تنفجر شرايينهما لتبتسمي لهما وهما يدخلان قاعة الطعام.

ـ كنت مهذبة معهما.

ـ بالطبع.. اكتشفت أن لا داعي للغيرة، لكنني تعذبت جداً بسبب نيد جونز.. هل أنت واثقة أنكما مجرد صديقين؟

ضحكت:

ـ صدّق هذا.

شعرت عندها بالأمان وأحسّت بحبه، لذا قالت له طوعاً:

ـ آه.. أنا أحبك فعلاً.. أحبك كثيراً.. كوين كوينتيرو.

ـ يا حبي.. لقد قلت لك يوماً إنك مبهجة..

ـ أذكر.. هل كنت تعني هذا؟

ـ عنيته يومها وأعنيه الآن، وهل تشكّين في هذا وقد استخدمت من يقود الطائرة فوق خطوط نازكا، لأنني أردت أن أكون حراً، لأشهد متعتك، وتأمل تعابير وجهك؟

نظرت إليه بذهول وهو يتابع:

ـ وحين عدنا إلى بيسكو، وتطلعت إلى وجهك المتألق المليء بالحياة، خفق قلبي فجأة.. ولم أستطع منع نفسي عن عناقك.

تنفّست الصّعداء وقالت:

ـ آه.. كوين.

ـ لكن ذلك العناق لم يكن كافياً يا حبي.. خوفاً من أن أفضح أمري ابتعدت عنكِ للسيطرة على مشاعري!

ـ لم أخمن هذا!

ردَّ مازحاً:

ـ لم يكن من المفروض أن تخمني.. وكم كنتُ بحاجة أن أستعيد توازن نفسي، لذا تعمدت أن أبتعد عنكِ بقية ذلك اليوم.

تذكرت:

ـ كان لديك التزامات عمل.

ـ أكاذيب أخرى اعتمدتها لأبقى بعيداً عنك محاولاً إيجاد مخرجٍ.

ـ كان الأمر سيئاً إلى هذه الدرجة؟

ـ قد قلتِ لي ذلك الصباح إنك لا تريدين إبعادي عن عملي.. واضح أنك لم تكوني تعرفين أنك تبعدينني عن نومي، وطعامي، وبدأت أظن أنك ربما تقودينني إلى الجنون.

تنهدت:

ـ آه! كوين حبيبي.

ابتسم:

ـ شكراً لكِ على هذا.. وقررت أن ألعب بهدوء حين لم تظهري على الفطور في الموعد المحدد. في الصباح التالي، ذهبت إلى المكتب.. لكن.. خلال الدقائق الخمس الأولى، اتصلت بالسنيورا غوميز، لأتأكد من أنك بخير.

لم تستطع أن تصدق ما يقوله لها كوين، لكنها لم ترغب في أن يتوقف. قالت له بلطف:

ـ تابع.

ـ أكدت لي سنيورا غوميز أنك تتناولين الفطور، وتبدين على ما يرام.. لكن، مع ذلك، لم أستطع الراحة.. حوالى الظهر رأيت أنه يجب أن أتأكد بنفسي أنك بخير.

ـ ووجدتني في التخشيبة الصيفية.

ـ صحيح.. لكن بعد البحثِ عنكِ في كل مكان. عندها أدركت كم ستكون الحياة كئيبة، إن لم أجد طريقة تجعلك تبقين معي... لكنكِ تركتني.

أردفت قائلة:

ـ لم تكن لدي أية فكرة

ـ وهل تصدقين أنني، وبالرغم من قراري أن ألعب ببرودة، وجدت نفسي أدعوك للغداء؟

ابتسم.. والتمعت عيناها سعادة حين ذكّرها:

ـ كان ذلك يوماً رائعاً، تغدينا في بيسكو وعدنا عبر سان اندريس، حيث عرفت أن قلبي يهيم حباً وشوقاً بك.

وبعينين خضراوين واسعتين نظرت إليه لتسأل بصوت ناعم حنون:

ـ حقاً؟

ـ بكل تأكيد.. لن أنسى نظرة السعادة البريئة على وجهك وأنت تتجولين في قرية الصيادين.

وكأنه يريد التغلب على أحاسيسه القوية ضمها إليه بصمت، ثم أكمل:

ـ وهل تلوميني لأني أردت أن أخرج معك في الأمس، وتكونين لي وحدي؟

ابتسمت:

ـ ذهبنا إلى جزيرة باليستاس.

ـ وكنت معي.. وما كنت أريد غير ذلك؟

ثم سألته:

ـ تلك الليلة.. وقت العشاء، كنت صامتاً، منزوياً مع نفسك.. وكنت متأكدة أنك نادم على تضييعك الكثير من وقت عملك.

ـ ساعيني.. كان هناك الكثير من الأمور تشغل رأسي.

ـ عملك..؟

ـ العمل لا شيء.. عدا عن الأزمة الخفيفة اليوم والتي شدت اهتمامي، فإن عملي يسير على ما يرام دون كثير اهتمام مني.. ولقد ذهبت إلى مكتبي في أول يومين كنت فيهما هنا لأنني لاقيت صعوبة في التعامل مع السعادة لمجرد وجودك معي.. واحتجت لفسحة أستطيع فيها جمع أفكاري.. وأتعلم كيف أخبيء مشاعري.. بحلول يوم الجمعة، بدوتَ وقد استعدتَ عافيتكَ.. ولأنني أردت أن أكون معك، أعترف

بهذا، فلن اسمح لأي شيء يجعلني أحرم نفسي من رفقتك.

نظرت إليه ممازحة:

- أخذتني إلى متحف.. وسمحت لي أن أسبح في مكان آخر غير البركة.

- كان لدى السنيورة غوميز وليًا تعليمات مشددة بأن يراقباك في غيابي..

وضحك، ثم تابع بجدية:

- لقد اقتربت من أن أصاب بالذعر يوم الجمعة هذا.

- ذعر.. أنت؟

- كنت تتحدثين عن الرحيل.. لم أستطع تحمل هذا، ولن أسمح به، لكنني لاحظت تصميماً وعناداً في طبيعتك.. فكيف كنت سأتمكن من منعك؟

قالت بمحبة:

- أيها المحتال.. لقد وضعت أمامي المتحف والآثار كالجزرة. هذا عدا ذكر السماح لي بالسباحة في البحر.

- لن أنسى هذا. ظننت أنك تواجهين صعوبات فأسرعت نحوك.. لأجد نفسي أواجه الصعوبات أكثر حين ضممتُ جسمكِ بثوب السباحة بين ذراعي.. كنت أقاوم بشدة لأسيطر على نفسي حين دفعتني بعيداً.. هل تصورت هذا بليس.. أم أنك فعلاً كنت تشعرين بوجودي «جسدياً» كذلك؟

- وهل يجب أن أقول الحقيقة؟

- أولم تنتهِ كل الأكاذيب، حتى البيضاء منها بيننا عزيزتي؟

- إذاً أنت لم تعرف أنني لم أشعر هكذا من قبل.

عانقها مجدداً.. ثم نظر إليها معاتباً، وكأنه يبحث عما كانا يتحدثان عنه.. ثم أكمل:

- في وقت قصير، عزيزتي بليس، أدركت أنني أوصلت نفسي إلى مأزق قوي.

- بسببي؟

- ومن غيركِ؟ كنت يومياً أزداد خوفاً من أنك ستقولين لي إنك راحلة.. ولأنني أردت وقتاً أطول معك.. لم أستطع تركك ترحلين.

- كنت على استعداد لقول هذا منذ عدة أيام.

- مشاعري لم تخدعني إذاً.

قالت له بليس:

- في كل مرة كنت أصمم على الرحيل، كنت تقترح أن تذهب إلى مكان ما.. هل كنت تفعل هذا عمداً؟

ضحك:

- بدأت تقرأين أفكاري جيداً بليس.

- أوليس من العجيب أنني لم أكن أملك القوة على رفض اقتراحاتِكَ.. بل كنت أستسلم دائماً لأكون معكَ مدة أطول؟

- أنا مسرور لهذا.

- إذن لم أكن لوحدي أرفض الطعام بسبب الحب؟

سأل بدهشة:

- ألهذا السبب كنت لا تأكلين؟

- أكلتُ معظم الوقت.

وضحكت، فضحك بدوره، ونظرا إلى بعضهما يتشاركان الفرح.

- كان جيداً أنني لم أعترف بكل هذا ليلة أمس، كما كنتُ أنوي.

- حين أتيتَ إلى غرفتي؟

- أجل!

- لكنكَ عدتَ لترد لي كتابي!

- كتابك كان ذريعة لي.. كنت في حالة متوترة. فوجدتني بحاجة

وأمضيت أسوأ ليلة في حياتي، وأنا أشعر بالصدمة للطريقة التي استجبت بها إليّ. وفي الوقت عينه، ازداد يأسي، ومع المرور السريع للساعات، اعتقدت أنك ستكرهينني لأنني حرمتك من فرصة رؤية أختك وأنت هنا.

ـ إذا كان هذا يواسيك، فأنا كذلك لم أنم كثيراً.

ـ كنت آمل أن يكون رأسك أكثر صفاء من رأسي هذا الصباح.

ـ أولم تقرر ماذا ستفعل؟

ـ كل ما أنا واثق منه هو أنني يجب أن أقضي كل دقيقة من يومي معك، وأنت على وشك الرحيل في أي وقت من الآن.

ـ ألهذا أخذتني إلى «تامبو كولورادو»؟

ـ طبعاً.. وكانت رحلة كارثة.. أليس كذلك؟ طوال الوقت كنت أريد أن أقول لك إنني أحبك.. ولم أشعر أن هذا مناسب. ماذا لو أخفتك؟ وبدأت أتأمل في كل شيء وكل كلمة جرت بيننا.

ـ وهل توصلت إلى استنتاج جديد؟

ـ شعرت بالأمل يدنو.. وبدأت أفكر أنك لو تساهلت مع أي صديق بنفس الطريقة التي استجبت بها إلي.. فما كنت لتبقي عذراء.. إذاً، هذا يعني أنك لم تستجيبي من قبل لأي رجل هكذا. وهذا يعني أنني «مميز» بطريقة ما.

ضحكت بخفة:

ـ يا إلهي.. فضحت نفسي.. أليس كذلك؟

ـ ليس تماماً.. كنت آمل هذا لكنني لم أصدقه تماماً.. ثم، بعد الغداء، ذهبت إلى المصنع، وتفكيري معك. وبدأت أفكر من جديد وأتذكر صباحنا في تامبو كولورادو. في البداية كان هذا مصدر ندم لي، لأنك مع حبك للآثار لم يبدُ عليك الاهتمام بتامبو كولورادو.

ـ هل لاحظت هذا؟

ـ أنا أعرف كل شيء تقومين به عزيزتي.. ثم بدأت أتساءل، ماذا حصل لتخفّ حماستك؟ هل وجدت شيئاً أكثر إثارة للاهتمام؟ حين بدأت أستعرض هذه الأفكار مع ذكريات ليلة أمس، والطريقة التي استجبت بها، أملت أن تكوني مهتمة بي، وأنني قد أكون «مميزاً» لديك.. وقبل أن أعرف.. ركبت سيارتي لأعود إليك.

ـ ووجدتني أوضب ثيابي لأرحل.

ـ قبل أي شيء، قابلتني ليّا مندهشة وأنا أخرج من السيارة، لتقول لي إنها رأتك تركضين من غرفة الجلوس إلى غرفتك وأنت متكدرة، فهل تعتقدين أنه عجيب دخولي غرفتك دون أن أقرع الباب؟

ضحكت بفرح:

ـ أنا مسرورة لأنك أتيت.

ـ هذا ما يجعلنا اثنين.

تراجع كوين قليلاً، وبدا أنه يجاهد ليجمع أفكاره.

ـ لماذا.. اتصلت بجاهارا، على فكرة؟ هل ظننت أن دوم وأختك عادا؟

هزت رأسها:

ـ لم أستطع إبعادك من تفكيري.. وأتصلت برقم ايريث لأجعل نفسي أركز على شيء آخر. وتلقيت صدمة حياتي، حين ردت ايريث.

ـ وهل قلت لها إنك هنا معي في باراكاس؟

ـ قلت لها إنني قرب نازكا، ولم أقصد الكذب. الأمر فقط.. كان المفروض أن أذهب إلى كوزكو غداً!

ابتسم كوين:

ـ لا تقلقي يا حبيبتي الصغيرة الوفية، سأقول لأختك ودوم إنك كنت تقيمين في منزلي حين أراهما.

ـ وهل ستراهما؟

ـ سنذهب إليهما معاً . . غداً .

حركها بحيث استطاع النظر إلى وجهها، وتطلعت إلى الدفء في عينيه الرماديتين :

ـ نريدهما أن يحضرا زفافنا . . أليس كذلك؟

ـ زف . . . زفافنا!

ـ طبعاً زفافنا . . عرفت ذلك اليوم الذي كنت أخبرك فيه عن أخويّ المتزوجين وأولادهما . . أنني أريد أكثر من أي شيء آخر، أن أتزوجك . . وكنت على وشك أن أضيف، كم أنا مسرور لهما، لأن هذا يعطيني الحرية لأتمتع بعزوبيتي . . لكن هذا لم يكن صحيحاً، ولم يعد هكذا منذ زيارتنا لماتشو بيتشو . . وكل ما عرفته وقتها، إن الطريقة الوحيدة لأكون سعيداً هي أن أتزوج . . بك .

تنهدت وقالت :

ـ آه . . كوين .

لكن الرجل الذي تحبه، بدا مصمماً على الحصول على رد ملزم أكثر .

ـ هل سيمانع والدك في أن يفقد ابنته الثانية وخلال أشهر في هذه السنة؟

وجدت بليس صعوبة في التنفس :

ـ خلال أشهر . . هذه السنة؟

ـ لن تجعليني أنتظر لأحصل على عروستي . . أليس كذلك؟

وعرفت بليس أنه لا يرغب بالانتظار .

ظهرت على وجهها ابتسامة جميلة . . وقالت بنعومة :

ـ لن أحلم أن أجعلك تنتظر!

ثم ضمّها بين ذراعيه وكان عناقاً طويلاً وحميماً . . .

* * *